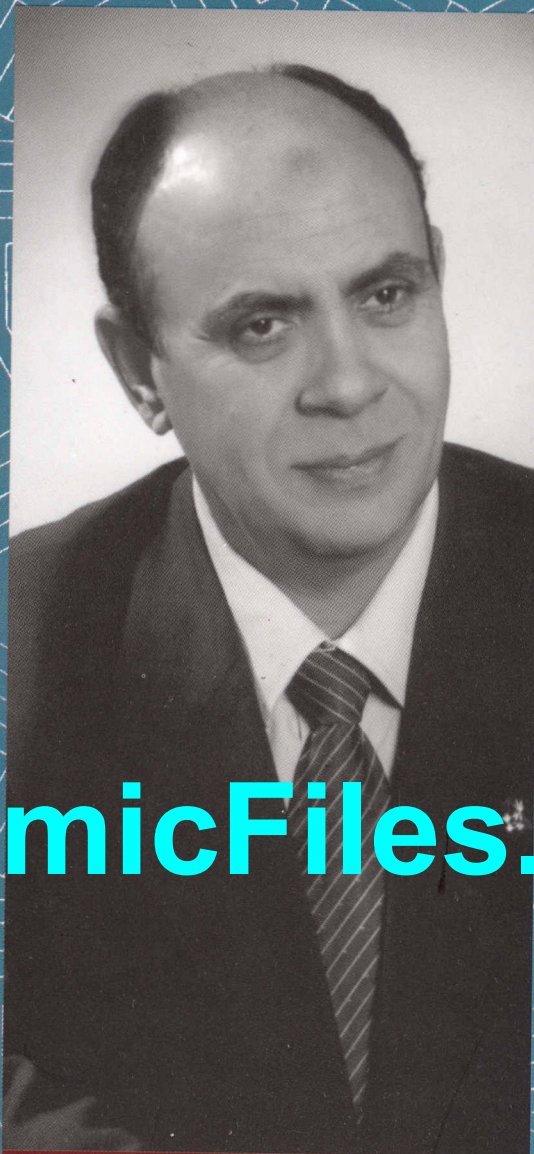


تم تحميل هذا الكتاب
من موقع الملفات الإسلامية
<http://islamicfiles.net>

طبعة الثانية



islamicFiles.Net

فتاوى

الشيخ طان

أ.د. مبروك عطية

الدار المصرية اللبنانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله الذي توعدّ الشيطان ، ومن تبعه بأشد ألوان العذاب ، والصلاة والسلام على صفوة الأحاب : سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الميامين ، ومن اهتدى بنوره إلى يوم الدين .

وبعد ..

فإن الفقه الذي عرفه التاريخ الإنساني من فقه الأئمة : أبي حنيفة النعمان ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد : دونت فيه الكتب ، ما بين موجز (متن) وبين مطول (شرح) إلى جانب الحواشي والتعليقات ، والنظم كذلك ، أي : إنه مخدوم من ناحية التأليف ، حتى فقه غير الأربعة الكرام من العترة - رضوان الله عليهم - وأهل الظاهر : « كابن حزم » والشيعة ، فيه كذلك مصنفات ، وشروح مطولة .

وقد صنف لنا هؤلاء الأئمة الكرام كتب الفقه التي بين أيدينا ، إلا أن الشيطان اللعين ما زال يضل الناس ، ويؤول لهم الآيات والأحاديث بالباطل ، كأنه ينصب نفسه مفتيًا ؛ لهذا .. سميت الكتاب : (فتاوى الشيطان) لأنها تقوم على أسس يبينها هذا الكتاب ، ولها في الواقع وجود . كما أن للشيطان أتباعًا متعصبين لتأويلاته ، سقطوا ضحية لهذه الفتاوى الضالة المضلة .

وهل إشعال نار التعصب إلا من مكائد الشيطان وفتاويه ؟!

ولنا في النظر إلى هذه المذاهب الفقهية للأربعة الكبار وقفة تأمل واعتبار .. على أنها بعيدة كل البعد عن معنى التعصب الذي يؤدي إلى الصراع ، بل إنه من الممكن القول أن في اختلافهم رحمةً ودروسًا . كما أننا نؤكد على أن هذا الاختلاف لم يكن لهوى شخصي ، بل هو اجتهاد فقهي يلتزم تمامًا بروح الكتاب والسنة .

فضلاً عن أن كل واحد منهم كان ينظر - في تواضع - إلى رأي الآخر بتبجيل وتقدير .

فلقد عاد مالك من عند أبي حنيفة ، فقال لأصحابه : « جئكم من عند رجل ، لو أراد أن يثبت لكم أن هذا الحائط من ذهب لفعل (يشيد بعقله ، وقوة حجته) .

والشافعي يقول : كلنا عيال على أبي حنيفة . وما دام الأئمة يقولون بذلك ، ويقول الواحد منهم أيضاً : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب .

وما دام « أحمد بن حنبل » يُسأل عن المسألة فيقول : « لا أدري » ، وعندما يذكره الناس بقول من سبقه من الأئمة ، يقول : « لعله أراد النافلة دون الفرض » .

فما هذا القتال بين أتباعهم ؟ والذي وصل إلى حد أن قال بعضهم : زواج المرأة المتبعة مذهب مالك من رجل يتبع مذهب الشافعي حرام !

أليس هذا مما يسعد الشيطان ؟!

ومن الذي دفع بعضهم إلى التأليف في وجوب اتباع مذهب من المذاهب دون غيره ؟!

أنت ومالك لأبيك :

وما الذي دفع بالرجل إلى أن يشتري أرضاً من شقاء ولده المغترب ، ويكتبها باسمه هو ، لا باسم صاحب المال ، فلما عاتبه ولده البالغ من العمر (34 سنة) بأربعة وثلاثين عامًا ، قال له :

- يا أبي ، لقد أرسلت إليك ثمن غربتي وشقائي ومعاناتي ؛ من أجل أن تشتري لي قطعة أرض ، أبني فوقها منزلاً لي ولأولادي الثلاثة ، وأستقر في بلدي ، وأرتاح من عذاب الغربية ، فلماذا كتبتها باسمك يا والدي ؟

فرد عليه :

- هكذا ، الدين يقول : أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ⁽¹⁾ ، لا أحد له شيء عندي ، كل شيء لي ، تعبكم وأجوركم ، وكل ما تملكون ملك لي وحدي ، أنا فقط ... فاهم !

هذا من فتاوى الشيطان ، والذي فهمه ذلك الظالم لولده ، ففي الحديث المرسل : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » يقول العلماء . ليس معناه أن يستولى الوالد على مال ولده ، وإنما معناه أن يأكل من ماله حلالاً طيباً ؛ لأن الولد من كسب أبيه . يأكل منه ما يكفيه ، لا يبيع كل مال ابنه . ورحم الله الشافعي ، حيث قال : لو كان كل مال الولد للوالد لكان له بعد وفاته ؛ فلا يرث مع الوالد أحد ، وهذا لم يقل به الشرع الحنيف .

أي : إنه لو مات الرجل وترك أباه ، وزوجته ، وأولاداً له : ذكوراً وإناثاً ، كان لوالده السدس ، وكان لزوجته الثمن ، وكان لأولاده الباقي تعصيباً ، للذكر مثل حظ الأنثيين . فلو أن قوله - ﷺ - : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » على حقيقته ، لكان القول في هذه المسألة هكذا :

يأخذ والد الميت كل ماله ، ولا شيء لزوجته ولا لأولاده ، وهذا ضلال ، ولم يقل به أحد من الأئمة أو غيرهم . إنما قال به الشيطان في الحياة الدنيا .

وما أكثر فتاوى الشيطان المتعلقة بضياح الحقوق تحت شعار النصوص الدينية التي يقلبها عن أصل معناها ، فيفهمها الناس ديناً ، كما في حديث : « أنت ومالك لأبيك » وكإعطاء البنت نصف ما يعطى الولد في الهبة ، قياساً على الميراث .

وكما قال « الزمخشري » نقلاً عن يونس : العرب إذا ارتحنوا عن الدار قالوا : انظروا أنساءكم ، أي : الشيء اليسير ، نحو : العصا والقدح⁽²⁾ .

(1) ابن ماجه / باب التجارات / رقم 64 .

(2) (الكشاف) 2 / 506 .

فإن من فتاوى الشيطان : أن يرفع الصغيرة ، ويعلى قدرها ، وينسى الكبيرة !

أيضاً.. من فتاوى الشيطان قلب الموازين والمعايير ، حتى يرى الناس يعتركون حول نافلة ، ويتساحون في الفرائض .

وإذا كان العلماء والفقهاء قد بنوا قواعد للفقهاء الإسلامي ، أساسها : استقرار الكتاب والسنة ، فإن فتاوى الشيطان تقوم على هدم تلك القواعد ، إما بتحريض الناس على مخالفتها ، وإما بإحداث خلل في منهج الدعوة ، بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ، فحينما يتحدث العلماء عن أركان الحج وسننه ، يتحدث أناس عن رجل وكُل الله عنه ملكاً يحج في صورته إلى يوم القيامة .

حتى في الدعاء : نرى للشيطان فتاواه التي يمكن حصرها في الاعتداء في الدعاء برفع الصوت ، والإصرار على السجع المتكلف ، والدعاء بمحرم ، كالدعاء بإنجاح جميع الطلاب ، سواء من جد منهم ومن لعب ، وكاختراع كلمات لا سند لها ، تقال في موضع كذا وموضع كذا وموضع كذا .

وإذا كان « ابن الجوزي » قد ألف كتاباً سماه : (تلبيس إبليس) فإنني - وأشكر له جهده وأدعو له ولسائر علماء الأمة المحققين بالرحمة والمغفرة - أقول : إن التلبيس نوع من فتاوى إبليس ومكائده ، فمعنى التلبيس : وهو من الإلباس : إلباس الحق بالباطل ، حتى يتوهم الملتبس عليه أن الحق فيما يرى ويعمل ، بينما هو على باطل ، يختلف عن المنهج العام الذي هو أشبه باتباع مذهب علمي معين ، لا يحيد المتبع عنه يميناً ولا شمالاً .

فمن التلبيس : أن يتوهم الداعية أن قيام الليل هو كل الدين .

• ومن فتاوى الشيطان أن يحصل الوالد على جميع مال ولده ، دون احترام لزمته المالية .

ومن التلبيس : إطالة الصلاة والمبالغة فيها ، والإسراف في ماء الوضوء .

• ومن فتاوى إبليس : أنه لا عبرة بالصلاة أصلاً ، إنما العبرة بصفاء القلب وبياضه ، وسلامته من الضغينة .

ومن التلبيس : تلاوة القرآن الكريم على ألحان الغناء .

• ومن فتاوى الشيطان : عدم التلاوة أصلاً ، أو اختراع : أن هذه الآية لعلاج القولون ، وتلك لعلاج الصداع ، وهذه لعلاج الصرع .

• ومن فتاوى الشيطان التي عمت بها البلوى : ادعاء الزواج من الجن ، وأن الجن يسكن بدن ابن آدم ، بينما فقه المسلمين بإجماع على : أن الشيطان لا يملك للإنسان إلا الوسوسة .

هذا .. وقد رأيت أن أقدم هذا العمل في فصلين :

الأول : بين الفقه الإسلامي والضلال الشيطاني .

والثاني : صور من فتاوى الشيطان في الحياة .

والله أسأل : أن يجنبنا الشيطان في القول والعمل ، وأن يلهمنا رشدنا ، وأن يتقبل منا ، وأن ينفع بهذا العمل : كاتبه ، وناشره ، ومن يطلع عليه .

إنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

بين الفقه الإسلامي ، والضلال الشيطاني

اتفقت كلمة العلماء على : أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس ،

وهي :

- 1 - الدين
- 2 - والنفس
- 3 - والنسل
- 4 - والمال
- 5 - والعقل⁽¹⁾

وما من شك .. في أن فتاوى الشيطان تقوم على عكس ذلك :

فهو يأمر بالكفر ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقتل الأولاد ، وإضاعة المال ، وإذهاب العقل .

ألا ترى إلى قوله تعالى : في سورة الأنعام الآية (100) : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ وقوله تعالى في سورة الأنعام الآية (137) : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾

(1) (الموافقات في أصول الشريعة) « للشاطبي » 1/ 27

وقد جرى على ألسنة كثير من الناس قولهم في خطاب الناس ، حاثين على سلوك المسلم الذي ينبغي أن يتحلى به ، وأن يكون ثمرة عباداته : « أن العبرة ليست في الصلاة ، ولا في الصيام » ولا أعرف لهذه العبارة الشائعة مصدرًا إلا فتاوى الشيطان ؛ إذ إن فقه الإسلام لا يعرف إلا الفريضة ، وأن أداءها بأركانها المعروفة يسقطها عن المكلف .

هذه عبارة الفقه الإسلامي :

رجل توفياً وأحسن الوضوء ، وأقام الصلاة حسب ما هو معروف من شروط صحتها ، سقطت عنه الفريضة ، وإن فعل ما فعل من سلوك سيئ .
وليس معنى ذلك : ألا يستثمر صلاته التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإنما معناه : سقوط الفريضة عنه بأدائها ، وتبقى ورقة النصح والإرشاد والتوجيه .

وقد يظن إنسان أن العبارة الشائعة هذه ، لها أصل في الدين ، من نحو قول النبي ﷺ :
« رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ »⁽¹⁾

وقوله ﷺ :

« مَنْ لَمْ تَنْتَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ » وفي رواية : « لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا »⁽²⁾

فهذا مرجعه إلى فقه الأساليب الذي يعرفه العلماء ، ولا يعرفه الجاهلون ، فالمراد : لا صلاة كاملة له ، لكن له صلاة .

وكذلك تحمل كل النصوص الواردة على تلك الشاكلة ، ومنها قوله - ﷺ - : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »⁽³⁾ . فمعناه عند العلماء : ليس ممن يتحلى بكامل صفاتنا ، لكنه مسلم ، وليس بكافر ، مسلم سيئ ، لكن لا يخرج عن الملة .

(1) ابن ماجه ، باب الصيام / 21 .

(2) أحمد بن حنبل / 3 ، 271 ، 441 .

(3) مسلم / باب الإيثار / 164 .

والسؤال :

لو أن رجلاً أمسك عن شهوتي : البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، لكنه لم يحافظ على لسانه . ولا على بصره ، هل عليه أن يعيد صومه ؟ والجواب : لا .

لأن الصيام هو ذلك الإمساك في تلك المدة . والورقة الأخرى : آداب الصائم ، أن يتحلى بمكارم الأخلاق ؛ فقد يضيع لغوّه وتفريطه - في صون لسانه ونظره - بركة صيامه ، لكن صيامه قد أداه .

لكن أن تقول : « لا عبرة ، لا معنى ، لا كذا » بهذا القطع ، فلست أراه من الشريعة ، وإنما هو من فقه عدم الفقه ، فهو الدليل على عدم الفهم .

وقد انبنى على هذه العبارة : أن وجدنا مداحين لتاركي الصلاة ، يؤثرونهم على المصلين ؛ لأنه لا عبرة بالصلاة .

بل إننا وجدنا من يعلن ذلك قائلاً : الإسلام الذي أعرفه هو هذا ، ويشير إلى قلبه ، ثم يقول : وليس إسلام الشعائر والصلاة ، وما أدري أي شيء هذا ؟ فهذا سعي إلى تخريب الأركان ، وإنجاح مكيده الشيطان .

زوج تارك للصلاة :

ترى الفتاة المسلمة ترحب بزواج تارك للصلاة جهاراً . كذلك أهلها يرحبون به ، ويقولون :

- فلان يصلي وهو كذاب .
- وفلان يصلي وهو غشاش .
- وفلان يصلي وهو صاحب نساء ... إلى آخره .

أما هذا ، أي : الزوج ، فهو لا يكذب أبداً ، ولا يلعب بذيله ، وهو ناجح في عمله ، أمين مع نفسه ، ضميره حيّ ... ودائماً يستكملون هذه العبارة : « وغداً إن شاء الله يصلي » وهذا الأمل كذلك من مفاتن الشيطان وغروره .

وما هكذا تكون المقارنة في فقه المسلمين ؛ فالذي لا يصلي أسوأ من الذي يصلي وهو مرتكب للآثام ، كلاهما أخو سوء ، لكن تارك الصلاة أسوأ .

ومن أصول الفقه : ما ذكره « الشاطبي » في مقدمته الخامسة ، حيث قال : كل مسألة لا ينبني عليها عمل ، فالؤمن فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي ، وأعني بالعمل : عمل القلب ، وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعي .

قال : والدليل على ذلك : استقراء الشريعة ، فإننا رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به ، ففي القرآن الكريم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة : 189)

فوقع الجواب بما يتعلق به العمل ، إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال ، لم يبدو في أول الشهر دقيقاً كالخيط ، ثم يمتلئ حتى يصير بدرًا ، ثم يعود إلى حالته الأولى ؟

وقال تعالى بعد سؤالهم عن الساعة أيان مرساها : ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴾ (النازعات : 43) أي : إن السؤال عن هذا : سؤال عما لا يعني ، إذ يكفي من علمها أنه لا بد منها ، ولذلك لما سئل - ﷺ - عن الساعة ، قال للسائل : « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ » ⁽¹⁾ « إعراضاً عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها ، مما فيه فائدة ، وقد نهى النبي - ﷺ - عن : قيل وقال ، وكثرة السؤال ؛ لأنه مظنة السؤال عما لا يفيد ⁽²⁾ .

ولو تتبعنا فتاوى الشيطان التي هي عكس ذلك ، لاحتجنا إلى مجلدات : فكل كلام لا ثمرة فيه ، ولا ينبني عليه عمل من مكائد الشيطان ، وما أكثر ما ترى من أسئلة في هذا المعنى ، كالذي يسأل عن : اسم أم موسى ، أو اسم أخته ، وغير ذلك . وكالقصص التي

(1) أحمد بن حنبل / 3 .

(2) (الموافقات) 1 / 33 .

لا حصر لها ، ولا سند ، تضييع الوقت . وأخطر من إضاعتها الوقت : معارضتها لأصول الدين من الكتاب والسنة والإجماع ، وجلها يدعو إلى التواكل ، ويحكي عن خوارق ، وينقل الناس إلى متاهات .

ويقول « الشاطبي » :

ومنها : أن الشرع قد جاء ببيان ما تصلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة ، على أتم الوجوه وأكملها . فما خرج عن ذلك ، قد يظن أنه على خلاف ذلك ، وهو مشاهد في التجربة العادية ، فإن عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية ، تدخل عليهم فيها الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم ، ويثور بينهم الخلاف ، والنزاع المؤدي إلى التقاطع والتدابير والتعصب ، حتى تفرقوا شيعاً ، وإذا فعلوا ذلك خرجوا عن السنة ⁽¹⁾ .

أقول : وهل للشيطان مقصد أعظم من هذا ؟ أن يفرق بين الناس ، وأن يدير رحى الحرب بينهم ، وأن يجعلهم أحزاباً ، كل حزب بما لديهم فرحون !

والمنام وما يرى فيه غير معتبر شرعاً ، لكنه في فتاوى الشيطان معتبر ، قال « الشاطبي » : « العلوم المأخوذة من الرؤيا مما لا يرجع إلى بشارة أو نذارة . فإن كثيراً من الناس يستدلون على المسائل العلمية بالمنامات ، وما يتلقى منها تصريحاً ، فإنها وإن كانت صحيحة ، فأصلها الذي هو الرؤيا غير معتبر في الشريعة في مثلها ⁽²⁾ .

ولست أيها القارئ الكريم في حاجة إلى مزيد من بيان ؛ فأنت ترى وتسمع عبر الفضائيات وغيرها ما عليه حال الناس من الأحلام ، وما يأخذونه منها ، وما يقطعون به وفق ما رأى النائم .

وفقه الإسلام يدعو إلى الخير . فما أكثر أبوابه في دين الله - ﷻ - فإماطة الأذى عن الطريق صدقة . والسكوت عن الشر صدقة . (أما فتاوى الشيطان ، فتقوم على منع الخير) .

(1) (الموافقات) 1 / 35 .

(2) (الموافقات) 1 / 55 .

ومن ثم .. يوعز أي : يوسوس إلى الواعظ المحقق ، فيقول له : مثلك لا يعظ ، وإنما يعظ متيقظ ؛ فيحمله على السكوت والانقطاع ، إنه يقول له : إنك تلتذ بها تورده وتجد فيه راحة ، فربما دخل الرياء في قولك ⁽¹⁾ .

يطارده إحساس بالرياء :

وقد سألتني أحد الكرام من محافظة المنصورة على الهواء مباشرة ، في برنامج : الدين والحياة ، وقال لي : إنه دأب على فعل الخير منذ أعوام : بنى مساجد ، وافتتح مكاتب لتحفيظ القرآن ، وبارك الله له في ثروته وتجارته ، وأخلف عليه ، ولكنه الآن يطارده إحساس بالرياء ، كأنه يسمع في داخله صوتاً يقول له : عملك غير مقبول ، فأنت من المرائين .

وقد أجبته ، فقلت له : استمر في عمل الخير ، واطرد هذا الإحساس ، فإنه من وسوسة الشيطان ، يريد أن يصدك عن الخير ، وعن فعله ، حتى يقل أمثالك ؛ فيهجر كتاب الله ، وينصرف الحفظة له من الأطفال إلى الشوارع ، يضرب بعضهم بعضاً ، ولا تجد الأرملة من ينفق عليها ، وعلى يتامى في حجرها فتبغي وتتعدى وتنحرف . وتلك بغية الشيطان .

ومن فقه الإسلام : طلب العلم وتفضيله ، قال الله تعالى في سورة فاطر الآية (28) :

﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلَّمُوا ﴾ .

وفي الصحيح عن النبي - ﷺ - أن : « مَنْ سَلَكَ سَبِيلًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ » ⁽²⁾ .

ومن فتاوى الشيطان : إثارة التعبد على العلم ، وقد رأينا في الصحيح ، أن الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ، لما ذهب إلى العابد الراهب وسأله عن توبة له ، قال له العابد : لا ، فأتم به المائة حيث قتله ، فلما ذهب إلى العالم قال له : لك توبة .

(1) (تلبس إبليس) ص : 153 .

(2) الترمذي / باب العلم / 2 .

وليس للشيطان من هدف في هذا الإيثار إلا أن يعبد العابد ربه على جهل ، وأن يفتي خطأ فيُضل ويُضل .

ونحن نرى هذه الأيام أمماً من الناس يقولون : سألنا شيخاً في الجامع ، فقال لنا كذا وكذا ، وما قاله الشيخ خطأ صريح .

ولا يعنون بالشيخ إماماً ولا واعظاً ، وإنما يعنون به : مَنْ وجدوه ملازماً للمسجد ، هيئته ولحيته ومسبحته وتمتمة شفتيه ، كل ذلك أوعز لهم بأنه صنو أبي حنيفة الإمام ، أو تلميذ مالك .

ورحم الله شيخ الجزيرة « أبا مسعود المعافى بن عمران الأزدي » الموصلي (ت 185هـ) حيث قال : « كتابة حديث واحد أحب إليّ من صلاة ليلة » .

قال « ابن الجوزي » : فلما مر عليهم هذا التلبس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم ، تمكن إبليس من التلبس عليهم في فنون التعبد ⁽¹⁾ .

ومن أصول الفقه الإسلامي : طرد الشك .

أما تضليل الشيطان فهو : استحكام الشك والوسوسة . فمن الناس من يبالغ في استعمال الماء فيسرف ، ويضيع الوقت في غير مندوب ولا واجب ، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة ، وهذا هو الموسوس الذي يشك في استكماله وضوئه .

وفي الحديث أن النبي - ﷺ - « مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟

قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى مَهْرٍ جَارٍ » . (أخرجه أحمد وابن ماجه) (باب الطهارة / 48)

وفي حديث مالك في (الموطأ) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله - ﷺ - قال : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ، أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضَرَاطُ ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ

(1) (تلبس إبليس) ص : 166 .

النِّدَاءُ ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ ، حَتَّى إِذَا ثُوبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّوْبُ أَقْبَلَ ، حَتَّى يُخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ ، يَقُولُ : أَذْكُرُ كَذَا ، وَأَذْكُرُ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُهُ ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى « (1) .

قال « ابن عبد البر » : لم يختلف أهل التفسير وأهل اللغة أن الوسواس : (الشيطان) يوسوس في صدور الناس وقلوبهم ، أي : يلقي في قلوبهم الريب ، ويحرك خواطر الشكوك ، فيذكر من أمر الدنيا بما يشغل عن ذكر الله (2) .

ومن فقه الإسلام : الحرص على الصف الأول ، أخرج البخاري ومسلم عنه - ﷺ - قال : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا لَهُمْ فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهَمُوا » (3) .

لكن من فتن الشيطان ووسوسته للرجل : أن الصف الأول هو صف القلوب ، لا صف الأبدان ، فيتأخر عن الصف الأول ، ويقول : إنما أراد قرب القلوب . ومن فقه الإسلام : عدم التشدد في أداء السنن ، والاهتمام بالفرائض والأركان .

لكن من وسوسة الشيطان : عكس ذلك ، فربما سهر المرء الليل كله ، ونام عن صلاة الفجر ، وقد قال عمر لأُم رجل تخلف عنه في صلاة الفجر ؛ حيث قام الليل كله ، فغلبته عيناه قبيل الفجر : « لَصَلَاتُهُ الْفَجْرَ مَعَنَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ » ، كما روى مالك في الموطأ .

وقد رأى « ابن الجوزي » رجلاً يجهر بالقراءة بالنهار ، فسأله ، فقال : أنا أطرد النوم عني بالجهر ، فقال له « إن السنن لا تترك لأجل سهرك ، ومتى غلبك النوم فتم ؛ فإن للنفس عليك حقاً .

(1) مسلم / باب مساجد / 84 .

(2) (التمهيد) 18 / 307 .

(3) البخاري / باب الأذان / 9 / 32 .

وعن أنس بن مالك « قال : « دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمَسْجِدَ ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : لِرِزْنَبٍ تُصَلِّي . فَإِذَا كَسَلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ ، فَقَالَ : خُلُّوهُ ، ثُمَّ قَالَ : لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ » (1) .

ومن فقه الإسلام : حسن معاشره الأهل ومداعبتهم ، وملاطفة الأطفال ، وحسن تربيتهم .

أما من فتاوى الشيطان : ما نص عليه « ابن الجوزي » في ذلك حيث قال : « فهذا المتزهّد الجاعل زوجته كالآيم (من لا زوج لها) وولده كاليتيم ، لانفراده عنهم ، وقبح أخلاقه : لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ، ولا يدري - لقلة علمه - : أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة » (2) . وفي (الصحيحين) أن النبي - ﷺ - قال لجابر : « هَلَّا تَزَوَّجْتَ بَكْرًا ، تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ! »

ومن فقه الإسلام : أن مصادر الشريعة : الكتاب والسنة والإجماع وهو حجة ، وأن العلم والعبرة في هذه المصادر ، وأن لها ضوابط معروفة مما تحكم به قواعد العربية .

وهناك علم آخر يسمى : علم الباطن ، وقد قال في ذلك « ابن الجوزي » ، فقال : رويناه عن « أحمد بن حنبل » . أنه سمع كلام « الحارث المحاسبي » ، فقال لصاحب له : لا أرى لك أن تجالسهم . وعن « سعيد بن عمرو البرذعي » قال : شهدت « أبا زرعة » ، وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه ، فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له : في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله - ﷻ - عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة .

(1) البخاري / باب التهجد .

(2) (تلبيس إبليس) ص : 165 .

هل بلغكم أن « مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي » والأئمة المتقدمة صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؛ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بفلان وفلان ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع ⁽¹⁾ .

الصوفية والشيطان

وشأن الصوفية شأن جميع الناس ، يدخل عليهم الشيطان من كل صوب ، إلا أنهم لما صارت له مزية كان دخوله عليهم أسرع وأكثر ؛ حتى يلبس عليهم ، وليسوا جميعاً طبقة واحدة . فمنهم العلماء العاملون الذين ما زالوا يقولون : إن التصوف : عمل بالكتاب والسنة ، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء ويمشي فوق الماء ، ولا يعمل بالكتاب والسنة ، فاشهدوا أنه كذاب .

من هؤلاء : من صفا قلبه ، وانشرح لذكر الله ، وعمل واجتهد ، وعن الدنيا لم يزهده ، وإنما جمع المال من حلال ينفقه على طلبة العلم ووجوه الخير ، وهو رقيق الحاشية ، لين الطبع ، تأنسه وتألّفه ، ولسانه رطب بذكر الله ، وهو يصلي ويجتهد . فأكرم به وأنعم ، وهو يحب العلم وأهله ، ويكرم العلماء ، ويسعد بهم ، ويستفيد من علمهم .

يصلي بروحه في الكعبة :

ومنهم من يركب متن الشطط ويخترع ، تراه قابعاً في مقامه ، والجماعة يصلون ، ويدعي أنه يصلي بروحه في الكعبة المشرفة ، وهذا لا أصل له بل هو عين تضليل الشيطان .

فقد صلى النبي - ﷺ - في المدينة وغيرها ، حيث أمره الله تعالى بأن يولي وجهه شطر المسجد الحرام ، صلى بالناس ، وركع وسجد ، ولم يجلس في مكان ويقول : أنا روحي تصلي في الكعبة !

(1) (تلييس إبليس) ص : 208 .

﴿ مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾

في سورة ص ، الآية (41) وفي حديث القرآن الكريم عن أيوب - عليه السلام - ، يقول تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ .

قال أيوب : « مسني الشيطان بنصب وعذاب » ، نسب - عليه السلام - - النصب والعذاب إلى الشيطان أدباً مع الله تعالى ، كما قال العبد الصالح في سورة الكهف الآية (79) : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُعْيِيَهَا ﴾ فنسب العيب إلى نفسه . مع أنه قال كما جاء في الآية (82) ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ .

وهناك قصص أشبه ما تكون بالخرافات ، موجودة في كتب التفاسير ، لا يعول عليها أهل التحقيق لتنافيها ومقام النبوة . والصواب : ما ذكره « الألوسي » من : أن ذلك معناه : وسوسة الشيطان له من عظم البلاء والإغراء على الجزع ، كان الشيطان يوسوس إليه بذلك ، وهو يجاهده في دفع ذلك ، حتى تعب وتألم على ما هو فيه من البلاء ، فنادى ربه يستصرفه عنه ويستعينه عليه ﴿ مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ⁽¹⁾ .

وكم من إنسان مبتلى بأقل مما ابتلى به أيوب - عليه السلام - بكثير وهو قانط من رحمة الله عز وجل جزع ، وقد ثبت أن بعض الأخيار كان لا يرى بعينه ، وأقرب الناس إليه لا يعرف ، وفي محكم التنزيل يقول الله تعالى في سورة يوسف الآية (84) : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْتِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ .

ولما قال له أبناؤه في الآية (85) : ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ قال كما جاء في الآية (86) : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

(1) (روح المعاني) 15 / 539 .

ثم يقول ربنا - ﷻ - في الآية (87) : ﴿ يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيْهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيْسُ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾
فاليأس من روح الله من فتن الشيطان ، والأمل في فرج الله من فقه الدين .

وقد تحدث القرآن الكريم عن الصابرين في سورة آل عمران في الآية (146) :
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ .

فتأمل المنسوبين إلى الرب ، كيف إنهم لم يضعفوا ولم يستكينوا لما أصابهم ، والله يحب الصابرين الذين يتصفون بتلك القوة على الرغم مما أصابهم . أما الذين يخورون ويضعفون ويتموتون لأدنى مصيبة ، ويزعمون أن حياتهم قد انتهت ، وأن المصائب قضت عليهم ، فلم تبقى لهم باقية ، وأن الأعور إذا ضرب على عينه قال : هي مفقودة مفقودة ، وأن التعس تعس متعوس ، ولو علقوا على رأسه فانوس . وأن المصاب إذا جاوره مصاب قال : اجتمع المتعوس على خائب الرجا ، فهذا كله من تضليل الشيطان .

ومن فتاوى الشيطان : ما تراه عكس ما ورد في كتاب الله هنا في سورة (ص) حيث نسب أيوب النُصْب والعذاب إلى الشيطان ، وفي سورة الأنبياء الآية (83) نسبة إلى الضر ، فقال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ قال هنا : « مسني الضر » وقال في سورة (ص) : « مسني الشيطان » .

ينسب المصيبة إلى الله :

وأنت ترى من الناس مَنْ يقول : يا رب ، كل ما تأتي به خير ، وذلك عند المصيبة : ينسب المصيبة إلى الله - ﷻ - ، وأنه تعالى . هو الذي أتاها بها ، ولو أنه تفكر في قوله تعالى من سورة التوبة الآية (51) : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقال ذلك ، إن كان لا بد قائلًا لكان متبعًا فقه الكتاب العزيز ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ أي : لم يأت النظم الجليل بـ « إلا ما كتب الله علينا » .

الخلل في منهج الدعوة

والخلل في منهج الدعوة إلى الله - ﷻ - من فتاوى الشيطان ، وأعني بالخلل في المنهج : إهمال الفرائض ، والأركان ، وعزم الأمور ، والكلام في الزهد ، والرقائق ، والقصص ، خصوصًا : القصص التي لا سند لها .

ورحم الله « ابن الجوزي » ، حيث قال : « وأكثر كلامهم في موسى والجليل وزليخا ويوسف ، ولا يكادون يذكرون الفرائض ، ولا ينهاون عن ذنب ، فمتى يرجع مرتكب الزنا ومستعمل الربا ؟ وتعرف المرأة حق زوجها ، وتحفظ صلاتها ، هيهات ، هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم !

ومنهم من يحث على الزهد ، وقيام الليل ، ولا يبين للعامة المقصود . فربما تاب الرجل منهم ، وانقطع إلى زاوية ، أو خرج إلى جبل ، فبقيت عائلته لا شيء لهم .

ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع ، من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر ، فيزيد الناس جرأة على المعاصي ، ثم يقوي ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة ، والملابس الفاخرة ، فيفسد القلوب بقوله وفعله ⁽¹⁾ .

والتأمل في الكتاب والسنة يجد ذلك المنهج القويم والصراط المستقيم في نحو قول الله - ﷻ - من سورة النساء الآية (31) : ﴿ إِنْ تَحْتَبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ .

(1) (تلبس إبليس) ص (152 ، 153)

وفي سورة لقمان الآية (17) يقول الله تعالى : ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا مَّعْرُوفًا وَآتِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ .

وفي سورة آل عمران الآية (186) يقول ربنا تعالى : ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ .

فانظر إلى عزم الأمور ، في أي شيء يكون ؟ إنه في : اجتناب الكبائر من الشرك بالله ﷻ ، وعقوق الوالدين ، ورمي المحصنات إلى آخره ، وفي إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على المصائب ، والتقوى في السر والعلن .

ومن يتأمل حديث النبي - ﷺ - يجد أمره ﷺ . بإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، روى مسلم في صحيحه أن رسول الله - ﷺ - سئل : « أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ »⁽¹⁾ .

وبين ﷺ . أن أحب الأعمال إلى الله - ﷻ - الصلاة على وقتها ، وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله ، في جواب عن سؤال واحد قد تكرر ، وذلك كما قال العلماء : بحسب حال السائل .

وأنت تجد مصادرنا من كتب الفقه تتحدث عن تعريف الباب أو المسألة ، ثم تذكر الحكم الشرعي ، ثم الأركان ، ثم السنن ، وهكذا بهذا الترتيب .

الحج وفتن الشيطان :

ونحن في ضوء هذا ، نذكر طرفاً من حديث الفقه الإسلامي عن الحج ، وحديث هؤلاء الذين أشار إليهم « ابن الجوزي » ، وما زالوا موجودين ، لهم خلف في كل زمان ،

(1) مسلم / باب الإيمان / 62 .

فحديث الفقه الإسلامي عن الحج يبدأ بتعريفه لغة وهو : القصد ، وشرعاً وهو : قصد البيت الحرام للنسك أي : للعبادة ، ثم على من يجب الحج ، ثم أركان الحج وسننه ، ثم حكم من ترك شيئاً من الواجبات ، ثم الهدى ، ثم الإحصار مروراً بأنواع الإحرام الثلاثة ، في غاية من الإتقان والوضوح والجمال .

واسمع هؤلاء حين تراهم يقولون : قال أحد الصالحين : رأيت أناساً يطوفون بالبيت ، وأناساً يطوف البيت بهم . فهل تجد في العلم : أن البيت يطوف بأحد ، وهو مركز الطواف وقبلة المسلمين !

واسمعهم حين يقولون : لا بد أن يطلب مَنْ أراد الحج من الناس أن يسأله ، ولا بد أن يصل من قطعه ، وأن يصلح من خاصمه ، فهل هذا مما لا بد منه ، أم أنه من المستحب ؟

وما الحكم يا مولانا إذا كان هذا القاطع أو المقطوع أو المخاصم غائباً خارج البلاد ، فهل ينتظر مَنْ نوى الحج هذا العام عودة الغائب ، ويحج من قابل ، كالذي فاته الوقوف بعرفة ، أم ماذا يفعل ؟

ناهيك بقصة نسبت إلى « عبد الله بن المبارك » ، بأنه كان في طريقه إلى الحج ، ووجد أرملة تلتقط جيفة ، فسألها ماذا تفعل بها ؟

فقال له : إنها تطعمها يتامى عندها .

فأعطاه زاده وزواده ، ورجع ولم يحج ، فلما عاد رفاقه ، قالوا له :

- لقد كنت معنا في كل موضع من مواضع الحج ، ثم اختفيت عنا فجأة .

- فظن أنهم يسخرون منه ، فلما نام جاءه ملك في منامه ، وقال له :

- لقد سُر الله تعالى مما فعلت ، ووكل عنك ملكاً يحج عنك في صورتك كل عام إلى يوم القيامة .

فما سند هذه القصة؟ وما مغزاها؟ ومن رواها من أهل العلم والفقه؟ إلى غير ذلك من الحكايات والكلمات التي لا تحمل في طياتها علماً، ولا تغني عن فقه.

المجادلة بالباطل

ومن فتن الشيطان: المجادلة بالباطل، وأوضح دليل على ذلك قول الله - تعالى - في سورة الحج الآية (52): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الأمنية هي: التلاوة.

أي: يلقي الشيطان في قلوب أوليائه وأحبائه ما يجادلون به الرسول حين يتلو آيات الله وَجَلَّ.

فمثلاً حين قرأ النبي - ﷺ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ﴾⁽¹⁾ قال الكافرون: إنه يحل ذبيح نفسه، ويجرم ذبيح الله، أي: الميئة.

وحين قرأ النبي - ﷺ - قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾⁽²⁾ قالوا: إن عيسى عبد من دون الله، والملائكة عبدوا من دون الله، أي: فهل عيسى والملائكة في النار أيضاً؟

ولذا قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾⁽³⁾ والله وَجَلَّ ينسخ ما يلقي الشيطان أي: يبطل ما يليقه من تلك الشبه، ويذهب به بتوفيق النبي - ﷺ - لردّه أو بإنزال ما يردّه.

(1) المائدة: (3).

(2) الأنبياء: (98).

(3) الزخرف: (58).

ولما سمع الكفار بمكة المؤمنين يقولون: لو شاء الله لأغنى فلاناً، ولو شاء لأعزّه، ولو شاء سبحانه لكان كذا⁽¹⁾. قالوا حين دعوا إلى النفقة على أقاربهم الذين أسلموا كما جاء في سورة يس الآية (47): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

عند من سنفطر أول يوم في رمضان؟

كم يسعد الشيطان في شهر رمضان، وهو يفسد على المسلمين حياتهم من حيث الاعتقاد، بأن إفطار أول يوم في رمضان من أمهات الدين وعزائم الأمور.

فالزوج يصّر على أن يفطر أول يوم عند والديه، والزوجة تصرّ على أن يكون الإفطار عند والديها خصوصاً أول يوم.

أم الكبائر أول يوم

والويل لمن فرط فيه، بأن أفطر في عمله، أو لبي دعوة زميله، تتساقط عليه نظرات الغضب من زوجته سائر أيام رمضان، فإذا يسعد الشيطان غير ذلك: أن يعيش الناس طوال الشهر الكريم في شقاق، وخصام وغضب، وثورة، الأمر الذي يفسد عليهم هدوءهم، وسكينة شهرهم، واستمطار رحمة ربهم فيه.

ولم يرد في أي مصدر من مصادر العلم: شيء عن الإفطار في أول يوم، أين يكون؟ ولا عند من؟ وإنما الوارد: أنه إذا غربت الشمس فقد أفطر الصائم: سواء في صيام الركن، أو في صيام النافلة. وفي أول يوم وفي أوسط الشهر، وفي آخره، وفي أي مكان: في المسجد، في الطريق، في البيت، المهم أن يتقبل الله - وَجَلَّ - الصيام والقيام وأن يعين عليهما، وأن يستجيب دعوة الصائم بإصلاح الحال في الدنيا، وحسن المال في الآخرة. فالأمر هين، لكن كيف يتركه إبليس اللعين هنيئاً، يمر هكذا في هدوء وجمال وسكينة واستقرار نفسي؟!

(1) (روح المعاني) 15 / 198.

إِنَّ اللَّهَ - ﷻ - يقول في سورة النور الآية (16): ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ هذا دليل على أن أمر الأكل هيِّن ، في رمضان ، وفي غير رمضان ، سهل الله تعالى المسألة ، وجعل الأمر واسعًا ، فلا تضيق على الناس أن يأكلوا معًا ، أو أن يأكلوا متفرقين ، من جاع أكل ، ومن قدر على أن يصبر حتى يأكل مع إخوانه فلا بأس .

لكن كيف ذلك ؟

إذا أكلت الزوجة وجاء الزوج ، وقدمت له العشاء قال :

- ألا تأكلين معي ؟

ف قالت :

- سبقتك ، بالهناء والشفاء .

عدّ ذلك بغضًا منها له ، أو عدم تقدير منها لشخصه ، وكأن التقدير يقتضي : أن تموت جوعًا ، حتى يأتي هو فيأكلًا معًا !

وهذا من عمل الشيطان .

فإن عائشة - رضي الله عنها - قالت للنبي - ﷺ - أهدي لنا كذا ، وخبأت لك نصيبك منه ، أي : إنها أكلت وتركت له - ﷺ - نصيبه ، وما كان من عتاب ولا غضب .

وجاء جماعة عند النبي - ﷺ - وشربوا اللبن ، والنبي - ﷺ - عند الأنصار ، وقال بعضهم : لن يتركه الأنصار دون عشاء ، فشرب نصيبه - ﷺ - من اللبن أيضًا ، ولما عاد ولم يكن قد تعشى حلب له وشرب وبركته - ﷺ - نزل اللبن ، وما كان هناك من عنف ولا من شدة ، وهكذا .

واتقوا الله ويعلمكم الله :

ومن فقه الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : أن المراد في قوله تعالى من سورة البقرة الآية (282) : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ للاستئناف يعني : لا صلة للعلم بالتقوى .

ولم يقل أحد من العلماء : أن المعنى : إن تتقوا الله يعلمكم الله ، ولو قاله لكان بناء الآية « واتقوا الله يعلمكم » بجزم يعلمكم جوابًا للطلب .

وقد شاع حتى عند كثير من أهل العلم ، مع الأسف ! أن معنى الآية « واتقوا الله يعلمكم الله » يعني مَنْ يتق الله يعلمه الله . يعني : لا داعي إلى مدرسة ولا جامعة ولا أستاذ .

يا أهل العلم ، إن النبي - ﷺ - يقول : « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ » .
يا أهل العلم ، إن الله - ﷻ - يقول عن النبي - ﷺ - في سورة النجم الآية (5) ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وشديد القوى : جبريل عليه السلام .

يا أهل العلم ، إن النبي - ﷺ - قبل من أسرى بدر الذين لم يكن معهم مال لفداء أنفسهم به ، قبل من الواحد منهم أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين .

وفي هذا البيان ، ما يدل على أنه لا بد من معلم ومتعلم ، لكن الشيطان لا يريد إلا أن يضلنا الضلال البعيد ، ومن سبل هذا الضلال البعيد الذي هو غايته وهدفه : أن يصرفنا عن طلب العلم على وجهه الصحيح .

وكيف يصرفنا عن طلب العلم على وجهه الصحيح إلا بنعرة ما لها من أساس في الدين ، ولا في قواعد اللغة . نعرة هي أشبه ما تكون بكلمة الحنّ التي يراد بها باطل ، فمن الذي ينكر فضل التقوى ، وأثرها ، ومن الذي يحوم حولها يشكك الناس فيها .. أعوذ بالله !

ومن الذي يتكلم في تعليم الله إيانا ؟

وهل ينكر أحد أن العلم الذي أوتيناه قليل قليل بالنسبة إلى علم الله تعالى ؟
فإن الله - عَزَّوَجَلَّ - يقول في سورة الإسراء الآية (85) : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴾ .

بهذه « الدروشة » يبني الشيطان صرح فتاواه ، فينصرف الناس عن الجادة ، وبذل الجهد ، والتعلم ، وينتظرون اللدنية في العلم ، أي العلم بلا معلم ، بلا واسطة من الله مباشرة إلى قلوبهم .

أليس الله يقول « واتقوا الله ويعلمكم الله » !

بلى ، الله يقول ذلك ، ولكن ليس هذا معناه . إنما معناه : الأمر بالتقوى ، وبيان أن الله يعلمنا شريعتنا . ومن ذلك : ما نفعله عندما نستدين أو نداين غيرنا ، لأن قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » في خاتمة آية الدين ، أي : يعلمكم الله كيف تحفظون أموالكم بالكتابة والعدل فيها ، ومن الذي يملي الكاتب ؟ وماذا لو كان غير قادر على الإملاء ، وبلااستشهاد ، برجلين عدلين ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداها الأخرى ، وعدم الإضرار بالكاتب والشاهد إلى آخره .

هذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۚ ﴾ فلا صلة له بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ ﴾ .

وقد قال العلماء : إن قوله تعالى : « اتقوا الله » : جملة مستأنفة . وقوله تعالى : « ويعلمكم الله » : جملة مستأنفة ، فماذا بعد فقه العلماء إلا فتاوى الشيطان !
وسوف يأتي مزيد بيان لهذه المسألة ، في الفصل الثاني إن شاء الله .

يوم ندعو كل أناس بإمامهم :

وكذلك في قول الله - تعالى - من سورة الإسراء الآية (71) : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَلًا ۖ ﴾ .

فسر العلماء أن معنى قوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أي ندعو كل أناس بنبيهم ، يقال : يا أمة نوح ، يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، يا أمة محمد ، وهكذا .
والشياطين يقولون :

ندعو كل أناس بأمهاتهم .

يقال :

- يا فلان ، يا بن زينب . ويا فلان ، يا بن دينا . وهكذا .

وكان للعلماء في الماضي توجيه لذلك الضلال الشيطاني ، كانوا يقولون :

- نعم ، صحيح هذا ، لأن الحسن والحسين أمهما بنت رسول الله - ﷺ - فهي أفضل من أبيهما .

وكذلك ينادى الناس بأمهاتهم : إكراماً لعيسى بن مريم ، فليس من اللطيف أن يقول الله : يا عيسى بن مريم ، ثم يقول لرجل يعمل بالدرجة السادسة ، واسمه عيسى : يا عيسى بن علي .

والعلماء في زماننا ، لهم تفسير آخر لهذا الضلال الشيطاني ، يقولون : نعم ، هذا صحيح ؛ لأن الله تعالى أمر بالستر ، وقد يكون الرجل ، منسوباً إلى أبيه في الدنيا على الورق ، وأمام الناس ، والله يعلم أنه ابن رجل آخر . وطبعاً أمه تعلم هذا ، فيوم القيامة ينادى باسم أمه ؛ لأنه مضمون أنه ابنها ؛ إذ لو نودي باسم أبيه لنودي باسم أبيه الحقيقي ، وليس الموجود على الأوراق ، فتكون في ذلك فضيحة عظيمة على رؤوس الأشهاد .

وقد شاع ذلك التضليل الشيطاني على ألسنة العظماء من المفكرين والأدباء ، ورجال الدين والمحاضرين شيوع النار في الهشيم . تسمع الرجل منهم يقول لك : خصوصاً إذا كنت مسافراً لأداء حج أو عمرة .

- ادع الله لي في البيت الحرام . قل له : يا رب ، أكرم محمد بن ليل . (أمه اسمها ليل)

وشيوع ذلك عند الدجالين والحسابيين بالجميل معروف ، ترى الدجال يقول لك :

- اكتب اسمك ، واسم أمك .

هذا كله من فتن الشيطان ، وليس له في الإسلام أي دليل . والله در جار الله : « الزمخشري » ، إذ قال في ذلك : « ومن بدع التفاسير : أن الإمام جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم ، وأن الحكمة في الدعاء بالأسماء دون الآباء : رعاية حق عيسى - عليه السلام - وإظهار شرف الحسن والحسين ، وألا يفتضح أولاد الزنا ، وليت شعري أيهما أبداع ، أصحة لفظه أم بهاء حكيمته » ⁽¹⁾ .

ومن قول « الزمخشري » : « بهاء حكيمته » أقول : من هذا البهلاء يدخل الشيطان اللعين إلينا ، يزخر القول ويزين السوء ، ويرى الإنسان القبح جمالاً ، والحرام واجباً ، والحلال خبيثاً .

فتوى الشيطان لآدم وزوجه :

يقص علينا ربنا - تعالى - من قصة آدم - عليه السلام - أن الشيطان وسوس لآدم وزوجه ، حتى أكلتا من الشجرة التي نهاهما ربهما أن يأكلا منها ، فلما أكلتا منها ، بدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة .

وقد ترجم لنا القرآن الكريم تلك الوسوسة كلاماً واضحاً مبيناً ، قال تعالى في سورة طه الآية (120) : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَذْكَاءَ عَلَى شَجَرَةٍ

(1) (الكشاف) 2 / 459 .

الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ۚ . فمعنى الوسوسة : قوله : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟

وفي سورة الأعراف الآية (21) : يقول ربنا - تعالى - : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۚ ﴾ ومعنى ذلك : أن الشيطان اجتهد في فتنه آدم وزوجه ، فقال ، وأقسم ، وزين ، وجمل ، حتى أكل آدم وزوجه منها .

وقد تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، وتلك الكلمات هي الواردة في الآية (23) من سورة الأعراف : ﴿ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۚ ﴾ .

ومن وسوسة الشيطان لآدم وزوجه ، إلى وسوسته إلى ذريته ، يقول في سورة الأعراف الآية (27) : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمَةٍ إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ . أي : أن الله - عز وجل - حذر بني آدم حتى يوم القيامة من وسوسة الشيطان .

وبالنظر في الآية (20) من سورة الأعراف : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ وفي الآية (27) : ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ أقول : أن الكاف في قوله تعالى « كما أخرج أبويكم » تدل على اتحاد الوسوسة ، وإن اختلفت الصور وتعددت . ومعنى ذلك : أن آدم وزوجه ما كان أمامهما من محذور إلا الأكل من شجرة واحدة ، فكل شيء كان حلالاً إلا هذه الشجرة ، فلم يكن هناك إلا طريق واحد أمام الشيطان ليفتن آدم وزوجه وهو أن يأكلا من هذه الشجرة ، وقد كان .

- واليوم ، ليس الموضوع واحدًا ، فالمنهي عنه ليس الأكل من الشجرة .
- إنه الأكل من أشجار كثيرة ، منها : البانجو والحشيش والأفيون وغيرها .
- والأكل من مال اليتامى ظلماً .
- وأكل الربا .
- وأكل أموال الناس بالباطل .
- وأكل الخنزير ، وسائر المحرمات .
- وشرب الخمر ، وتسميتها بغير اسمها من فتن الشيطان .
- وإطلاق اسم « فن » و « إبداع » على كل هو خبيث ، فيه تنكشف العورات ، ويقال : الخبيث من القول من تضليل الشيطان .
- والغيبة والنميمة .
- وإفساد ذات البين .
- والغش ، والخداع .
- وقطع الأرحام .
- وإساءة الجوار .
- والرغبة في الانتقام .
- والكيل بمكيالين

كل ذلك من مكائد الشيطان ، يشفي بها غليل من اتبعه ، وسلك مسلكه .

التلاعب باللغة

والتلاعب باللغة من فتاوى الشيطان ، ألا ترى أنه وسوس « لعمر بن لحي » حين لبى ، فقال :

- لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك .

فقال له ، كما قال لآدم :

- قل : إلّا شريكاً هو لك .

فقال عمرو :

- كيف ذلك ؟ وأنا أقول : لا شريك لك ؟!

فقال له الشيطان :

إذا قلت : إلّا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، ما ضر ذلك .

فقال : نعم ، هذا حسن . فقالها ، وقد رآه النبي - ﷺ - يحرق صبه (أمعاءه) في جهنم .

فانظر كيف أقنع « عمرو بن لحي » بأن يقول إلّا شريكاً هو لك ، عن طريق التلاعب بالألفاظ ، وما أكثره في زماننا . كالذين يرون أنهم إذا جلسوا وقالوا ما شاء لهم الهوى أن يقولوا ، ثم قالوا آخر المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، نستغفرك ونتوب إليك » محاذ الله عنهم كل خطيئة وقعت في المجلس .

وهذا .. إن لم يتعمدوا الخوض في أعراض الناس ، ولم يصروا على الفحش .

إنما الاستغفار والتوبة للذين لم يكن لهم إصرار على الفاحشة ، كما قال ربنا تعالى في سورة آل عمران الآية (135) : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

استحلال ما حرم الله :

واستحلال الحرام من فتاوى الشيطان ، يقول للعامل الذي يتقاضى راتباً ضعيفاً : خُذْ ما شئت ، فأنت تبذل جهداً كبيراً ، وتتقاضى القليل ، فهذا الرجل الذي تعمل عنده ظالم ومفتر ، ولا يعطيك حَقَّك ، فأنت لا تسرق ، وإنما تأخذ حَقَّك ، ما دام هو لا يعطيك . وكذلك المؤسسة والشركة والهيئات الحكومية ، لطالما أخذ العاملون منها ما ليس من حقهم أن يأخذوه ، تحت فتوى شيطانية تقول : نحن نعمل أكثر مما نأخذ ، فليس حراماً أن نستوفي .

إن فقه الإسلام يقوم على قول النبي - ﷺ - « أَذْ الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تُخَنِّ مَنْ خَانَكَ ، وَالْعَقْدُ شَرِيعَةُ الْمُتَعَاذِينَ »⁽¹⁾.

ومن تضليل الشيطان : التطير ، إذ ليس في الإسلام طيرة . وقد كان النبي - ﷺ - يعجبه الفأل الحسن . أي : الكلمة الطيبة .

وما أكثر الذين يأخذون بفتن الشيطان في ذلك ، ومن هذا : الاعتداد بما يحدث من : رفة عين ، ورعشة يد ، واضطراب إحساس ، يصد ذلك كله الناس عن الإقدام ، وهو من الأوهام . ومنه : تلطيخ الجدران بدماء الأضاحي . ووضع نعل ونحوه على الباب ، وفي مؤخرة السيارات ، زعمًا أن ذلك يمنع الحسد .

ومنه : لبس الخرز الزرقاء ... ونحوها . ولا أساس لذلك : في دين الله ﷻ ، فهو من وساوس الشيطان .

ومنه إذا وافق القول أذان المؤذن ، يقول بعض الناس : ظهر الحق ، فالله أكبر . ولا أساس لذلك في دين الله ، فهو من فتن الشيطان .

ومنه ما يسمى (البشلة) : سكين ملتهبة بالنار ، يضعها رجل تحت لسان إنسان ، فإن كان سارقاً لسعته ، وإن كان بريئاً لم تسعه ، وهذا ليس من الدين في شيء .

والذي لا يكفيه راتبه ، عليه أن يطلب الزيادة ، أو أن يبحث عن آخر يكتفي منه ، لكنه لا يوافق على القليل ويسرق ، أو أن يعمل بتقصير ويقول : « على قدر فلوسهم » .

فهذا من فتاوى الشيطان ، لا من فقه الإسلام .

تخويف المؤمن من الجهاد :

ومن فتن الشيطان : التخويف . يخوِّف المؤمن من ملاقاته عدوه ، ويقول له : لا طاقة لك به ، لقد جمع لك كذا وكذا قال تعالى في سورة آل عمران الآيات (173 - 175)

(1) أبو داود / باب البيوع / 79 .

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾⁽¹⁾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ .

فما دام الحاكم قد رأى وجوب الجهاد ، وأعد جنده بعد أن شاور ، واستقر الرأي على الجهاد ، فلا ينبغي على جنده أن يتخلفوا عنه خائفين .

رفع الدعوى ضد مسئول :

ومن فتاوى الشيطان - بالقياس على ذلك - : خوف كثير من الناس أن يرفعوا دعوى قضائية ضد مسئول كبير ، أو من له جاه وسلطان ومال .

يقول لهم :

- ضد مَنْ ترفعون الدعوى ! هل أصابكم جنون ! أنسيتم أن القاضي في يده ، وأن ماله يستطيع به أن ينغص عليكم حياتكم ، فلن تحصلوا في النهاية إلا على ضياع أموالكم ، فوضوا أمركم إلى الله .

هذا من تضليل الشيطان ؛ ليحزنهم ويزيدهم مرارة .

أما فقه الإسلام ، ففيه مشروعية التقاضي ، ورد الحقوق إلى أصحابها ، والناس أمام القاضي سواء ، والحديث في ذلك طويل مشهور . وكم ضم مجلس القضاء في الإسلام : الأمير والخفير ، والغني والفقير .

ومن مكائد الشيطان في ذلك : أنه صوّر لكثير من الناس أن التقاضي معناه : : العدا ، فمعنى أن فلاناً شكاك : أنه عاداك .

والتقاضي في فقه الإسلام خصومة تنتهي إلى حكم يرضى به الطرفان ، ولا يفسد المودة ، ولا يجلب العداوة من قريب أو بعيد .

وكم من مظالم معطلة ، بسبب ذلك الضلال الأسود ، خصوصاً بين أولي الأرحام ، ومسائل المواريث . فكم من أخ ظلم أخته ، فلم يعطها حقها الشرعي الذي قسمه الله تعالى - لها .

فإن قال قائل لها :

- ارفعي دعوى أمام القضاء .

قالت :

- أشكو أخي ، وأدخله المحاكم ، وذلك ليعاديني العمر كله !

نجح الشيطان في تحقيق الظلم ، أوهم الأخ أن المال ماله ، وأن أخته لا حظ لها فيه ، فأين كانت حين جمعه أبوه ، ألم يكن هو الذي يشقى معه ، وهي ناعمة نائمة في الظل ، أو كانت جنيئاً في بطن أمها ، بينما هو ظالم ، وأوهم أخته أنها مظلومة ، وأن ثوابها كبير ، وأنها لو رفعت أمرها إلى القضاء لكان في ذلك بالغ العداء ، بينها وبين شقيق لها ، بل إنه يوهمها أنها : إذا رفعت ضد أخيها دعوى ، فسوف تغضب أباه في قبره ، سوف يلعنها وهو تحت التراب .

وكان من قبل ، قد أوعز إلى كثير من الآباء والأمهات ، أن يكتبوا أموالهم على حياة أعينهم ؛ حتى يكونوا مستريحين في المقابر بعد الموت .

وهذا كله لا دليل عليه ولا سند له ، فهو من فتاوى الشيطان ، لا من فقه الأديان .

الإعراض عن الكتاب والسنة في التحاكم :

ومن فتن الشيطان : التحاكم إلى كل طاغية : نأياً عن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -

وهذا هو الضلال البعيد ، قال تعالى في سورة النساء الآية (60) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ ﴾ .

فأي ضلال أبعد من ضلال من لم يرض بحكم الله ورسوله ، ويرضى بحكم هواه ، أو يلجأ إلى بدعة منكرة يرضاها ، ويطمئن قلبه إليها ؟ إذ إن فقه الإسلام يقول : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » .

ومنه : إذا قال صبي كلمة ، أخذ الناس بها تحت زعم : « خذوا فألكم من عيالكم » ولا أساس لذلك في دين الله .

التجاوز في القصاص :

ومن ضلال الشيطان : المبالغة في الأذى والتجاوز في انقصاص ، وقد وسوس إلى الناس قولهم : « من رشك بالماء رششته بالدم » وشرع الله القصاص : النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، قال الله تعالى في سورة المائدة الآية (45) : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۖ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۖ ﴾ .

ومن ضلال الشيطان : الوعد بالفقر بما يترتب عليه البخل والإمساك ، قال الله تعالى في سورة البقرة الآية (268) : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۖ ﴾ .

تغيير خلق الله :

وأخطر ما في فتن الشيطان : تغيير خلق الله . قال الله تعالى في سورة النساء الآية (119) : ﴿ وَلَا ضَلَالٌ لَهُمْ وَلَا مَنِيَّةٌ لَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ ءَاثَاتِ الْأَتْعَمِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۖ ﴾ .

بل إن من تضليل الشيطان : أن يقف الناس على أن تغيير خلق الله خاص ووقف على ما تفعله النساء من إزالة الشعر والوشم ... وغيره .

وهذا لم يقل به عالم ؛ إذ إن المعنى يتسع لكل تغيير يؤدي إلى تخلف الفرد والأمة من اعتقاد خاطئ وسلوك معيب ، وسياق الآية يدل على ذلك حيث جاء فيها : ﴿ وَلَا تُرْنَهُمْ فَلَيَحْكُمَنَّ أَذَانُكَ الْأَنْعَامِ ﴾ أي يقطعون آذان الأنعام ، ويحرمون منها ما لم يحرمه الله ﷻ . وقس على ذلك كل بدعة سيئة ، وكل قول من شأنه أن يردي الناس ، ولا سند له من أصول الدين .

إن خلق الله من معانيه : أحكام شريعته . فمن فتاوى الشيطان : أن يحل الزنا محل الزواج . سئل رجل كبير لماذا لا تتزوج ؟ فقال : ولم أحبس نفسي على امرأة واحدة ، ولا أكون مثل الفراشة ، تطوف على كل الزهور . أو كالنحلة تقطف من جميع الزهورات ، وضحك وضحك سائله ، وهذا من صلب كيد الشيطان .

• إن من خلق الله ﷻ : التوكل .

و تضليل كيد الشيطان : التواكل .

• ومن خلق الله : العمل .

ومن كيد الشيطان : النوم والكسل .

• ومن خلق الله : الإحسان في كل شيء .

ومن كيد الشيطان : الإساءة .

• ومن خلق الله : الأمانة .

ومن كيد الشيطان : الخيانة .

• ومن خلق الله : إعطاء كل ذي حق حقه .

ومن كيد الشيطان : البخس .

• ومن خلق الله : العدل .

ومن كيد الشيطان : الظلم .

والشيطان لا يقول للإنسان صراحة : اظلم ، ولكن كما قلت : يوسوس إليه بأن هذا ليس ظلماً ، إنما هو عين الإنصاف ، وهكذا .

تضليل الشيطان عن طريق الخمر والميسر :

وكيد الشيطان يؤدي إلى العداوة والبغضاء عن طريق الخمر والميسر قال الله تعالى في سورة المائدة الآية (91): ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .
ومن كيد الشيطان : النزغ بين المتصلين ؛ ليتفرقوا وليقتل بعضهم بعضاً .

قال الله تعالى في سورة يوسف الآية (100): ﴿ بَعْدَ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ .

ومنه أن تطلب المرأة من زوجها أن يطلق صرّتها ، أو أن تشرط عليه قبل زواجها أن يطلق التي في ذمته ، لتستفرغ صحفتها ، وفقه الإسلام يقوم على رضاها بما قسمه الله لها . ولم يرغمها الشرع على الزواج من رجل متزوج ؛ فالزواج الشرعي من أركانه : الإيجاب والقبول ، فإما أن تقبله على حاله ، وإما أن تقول : لا ، لكن الشيطان يوسوس إليها : بأنه إذا طلقها لم يعد في حياته غيرها ، فهنئاً لها ما سوف تحظى به وقد انفردت به ، وليس ذلك حقاً ؛ فإن لها ما قدر لها كما قال النبي - ﷺ -

الفصل الثاني

صور من فتاوى الشيطان في الحياة

1 - فتوى التزيين

بين لنا ربنا في أكثر من آية : أن الشيطان يزين للذين يتبعونه فعل السوء ، فإذا به يبدو أمام أعينهم حسناً ، ومعنى ذلك : أنه سيئ ، لكن الشيطان زينه . فما أبصر هؤلاء الجوهر ، وما وقفوا على الأصل الأصيل ، وإنما نظروا إلى الشكل ، وإلى الزخرف ، فغرههم ذلك ، قال الله - ﷻ - : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾⁽¹⁾ .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾⁽²⁾ .

وأهم وأخطر ما زينه الشيطان : قتل الأولاد ، الذين هم فلذات الأكباد ، زين الشيطان لأوليائه قتل أولادهم ، فقتلهم قال الله - ﷻ - : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ

(1) فاطر : 8 .

(2) الأنفال : 48 .

لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»⁽¹⁾.

يقول « الطبري » : « وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم من نصيبهم لربهم من أموالهم قسماً بزعمهم ، وتركهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم في قسمهم ، وردهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله إلى قسم شركائهم ، كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم من الشياطين ؛ فحسنوا لهم وأد البنات ليردوهم ، يقول : ليهلكوهم ولبلبسوا عليهم دينهم ، فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلبس ؛ فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرم الله عليهم »⁽²⁾.

وكانوا ينذرون بقتل الولد كما فعل عبد المطلب⁽³⁾.

واليوم ، يزين الشيطان قتل الأولاد بالإجهاض ، مستغلاً التطور العلمي ، وما وصل إليه العلماء من الاكتشاف المبكر لأمراض جينية . تقول : إن الجنين سوف يولد معوقاً ، ويعيش معذباً ، فمن الأولى الآن أن ينزل بدل أن يولد ليعيش حياة معذبة .

ولا بأس عند بعض علماء الشريعة أن يبحثوا لذلك عن فتيا شرعية ، وتأتي كلماتهم معبرة عن ذلك وفق الأدلة الشرعية المعتمدة ، وباب الاجتهاد مفتوح ، وله ضوابطه ، التي يعرفها العلماء . فإن اهتموا إلى شيء لا مخالفة فيه لدين الله كان لهم أجرهم باجتهادهم ، لكن أن نكتفي بالقول المعمم بأنه سعي إلى الكسب المشروع ، وأخذ بأسباب العلم ، وهلم جرّاً ، من كلمات الأمة القوية ، والأمة الضعيفة . وفي الحديث : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ »⁽⁴⁾.

(1) الأنعام : 137 .

(2) (تفسير الطبري) 45 / 8 .

(3) (حاشية الشهاب) 128 / 4 .

(4) مسلم / باب القدر / 34 ، ابن ماجه / مقدمة / 10 .

ويا ليتهم وقفوا عند قوله - ﷺ - « وفي كل خير » فأثروا الخير الأقل على الفتيا بالقتل .

وهذا لا يجوز شرعاً ؛ لأننا لن نختار ، فالله يخلق ما يشاء ويختار ، قال تعالى : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ »⁽¹⁾.

وقد يكون هذا المعوق رحمةً لأبيه وأمه ، فالمسلمون يُنصرون بضعفائهم ، كما ينصرون بأقويائهم ، وما النصر إلا من عند الله .

والأخذ بمعطيات العلم ، في توفير مياه الشرب ، وترفيه الحياة وتيسيرها أمر مندوب ، بل هو واجب ، وليس الأخذ به في قتل الذرية ، واختيار الذكور دون الإناث ، والاستنساخ ، وسائر أنواع العبث ليس إلا من كيد الشيطان الذي يقول : إن ذلك من باب تحقيق المصلحة ، وإذا وجدت المصلحة فثم شرع الله . فمن قال بذلك هكذا دون تقييد بضوابط الشرع ، فليس من الدين بشيء . وهل ترى إنساناً يقدم على أي عمل إلا وهو يقول لك : إن فيه المصلحة ، وإن فيه خيره وخير أولاده ، فهل تقول له : افعل ما بدا لك ، فإنه حيث تكون المصلحة يكون شرع الله ؟!

2 - حرارة الجو بسبب الذنوب

وقد ارتفعت أصوات بعض المنتسبين إلى العلم ، وكأنهم اكتشفوا الذرة الجديدة ، يقولون : عندما ارتفعت حرارة الجو : إن هذا بسبب ذنوب العباد .

وليت شعري .. هل كثرت الذنوب في عهد النبي - ﷺ - حين نفر بأصحابه إلى تبوك في شدة الحر ، وذكر ذلك ربنا تعالى حيث قال المنافقون : « لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ »⁽²⁾.

(1) القصص : 68 .

(2) التوبة : 81 .

وقد روى بعض الصحابة : أنهم سافروا مع رسول الله - ﷺ - في شدة الحر إلى درجة أن الرجل كان يضع يده على رأسه من شدة الحر .

وقد قال رجل للنبي - ﷺ - أنه حمل أمه في يوم شديد الحرارة ، إلى درجة أنه لو وضعت مضغة فوق صخرة لنضجت ، فهل أدى بذلك حقها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : لَعَلَّ ذَلِكَ يَعْدِلُ طَلْقَةً .

وروى البخاري عن ابن عمر أنه ﷺ قال : « بنيت لنفسي بيتًا يظلني من الحر ، و يقيني من البرد أيام رسول الله - ﷺ - ما أعاني عليه أحد من خلق الله .

وهذا من فتن الشيطان ؛ لينسى الناس ما هو أعظم من ذلك بسبب الذنوب ، من قلة المطر - ولولا البهائم لما مطرنا - ومن ضياع أوطاننا وحرماننا ومقدساتنا ، وكأننا نود الصلاح لاعتدال الجو لا لاعتدال الحال ، فبعد قليل يمضي الصيف ويأتي الشتاء ، وإذا اشتد البرد قال هؤلاء : إنه الزمهرير وهو : شدة البرد بسبب الذنوب ، وهكذا يكون الفقه الذي لا فقه فيه .

إن الفقه الذي عرفه الأئمة يقول : إن النبي - ﷺ - قال في الحر للناس عند صلاة الظهر « أَبرِدُوا » أي : أخروا صلاة الظهر حتى يبرد الجو ، بحيث لا يدخل وقت العصر ، وهذا يتصور منه أن تصريف الرياح بيد الله وحده ، وأنه ليس بسبب الذنوب ، وإنما هو لمصلحة العباد .

وقد يكون فساد الإنسان سببًا في ارتفاع درجات الحرارة كالذي يبني مصنعًا في بيئة سكنية ، وكالمداخن والأفران ... وغيرها التي ترمي بدرجات الحرارة في كل مكان حول هذه المصادر ، وقد قال علماءنا : إن هذا الفساد تسبب في خرق طبقة الأوزون ، فلماذا نصرفه إلى الذنوب وهو فساد يجب إصلاحه ؟ .

3 - كشف عورات النساء والرجال

لقد نبهنا الله - ﷻ - إلى فتنة الشيطان فيما يتصل بستر العورة ، حيث قال : ﴿ يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِّهَمًا إِنَّهُ يَرِئُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وقد صرنا نرى نساء المسلمين وبناتهم يخرجن كاسيات عاريات ، وقد استمر ذلك المسلمون ، وقالوا : إن الزمن قد تغير ، وإن هذا تطور ، وما هو إلا تدهور ، ونجح الشيطان ؛ فأمل على أوليائه : بأن العبرة ليست في المظهر ، وإنما هي في الجوهر .

قال الشيطان : إن الأساس هو جوهر المرأة وتربيتها وخلقتها .

وقال الشيطان : إن ستر العورة ضرب من الرق ، وذلل للمرأة .

وقال الشيطان : إن ذلك ليس من الدين ، فالله ينظر إلى القلوب ، ولا ينظر إلى الصور .

وفي مساء الأحد ، وعلى قناة المحور الفضائية ، مساء يوم 2007 / 8 / 5 سأل المذيع الأستاذ « محمد القاضي » إعلامية مشهورة هي الأستاذة « فريدة الشوباشي » هل لبس المرأة سبب في التحرش الجنسي ؟ فقالت بالنص : « لقد كنا في الستينيات نرى النساء يمشين في الشوارع في الصيف وهن يرتدين ملابس بلا كُفٍّ ، ومع ذلك لم تكن هناك معاكسات ولا تحرش جنسي » .

أي منطق هذا ؟ وأي دليل على صحته ! تلقي باللوم على الشباب ، وكأنها تقول : يا معشر النساء ، البسن ما شئتن ، وعلى الرجال اللعنة إن تحرشوا بكن !

والكلام على ستر العورة من أبجديات هذا الدين ، وهو ألف باء في باب الطهارة ، وجميع بدن الحرة عورة ما عدا وجهها وكفيها ، وعليها أن تستر عورتها بلباس لا يصف بدنها ، ولا يجسدها ، ولا يشف عما تحته من لبسة المتفضل .

ورحم الله « أبا عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأندلسي » الذي استأذن عليه « أبو بكر بن ميمون » فدق عليه الباب ، وظن أنه أذن له ،

فدخل عليه ، فوجده مكشوف الفخذ ؛ فبكى الحميدي ، وقال : « والله ، لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد مذ عقلت » ⁽¹⁾ .

وهو القائل :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

فهذا المحدث : الرجل الذي بكى ؛ لأن شيخاً جليلاً رآه مكشوف الفخذ - لو رأى الناس اليوم ، وقد صار الرجل يلبس الضيق من البنطلونات ، ويغطي السوأة الغليظة على شواطئ البحار ، وكذلك النساء أتراهن يبكين أم يقعن ميتاً .

إن استمراء ذلك من المسلمين الذين يصلون ويزكون ويحجون ويعتصرون ، إنها هو بسبب فتنة الشيطان الذي زين لهم سوء أعمالهم ، فأوها حسناً ، وما هي بحسن . لقد كشفت بلقيس عن ساقها حين حسبت الصرح لجة ، ومعنى ذلك : أنها كانت مستورة ، والحرمة هكذا ، قال الناس من قديم : إن العوان لا تعلم الخمرة .

وفي الوقت نفسه ، نجد أمة من النساء يفهمن ستر العورة على أنه تغطية الرأس بمنديل أو بمناديل ملونة مزركشة ، وهي ترتدي الضيق الشفاف ، وكل ذلك من وساوس الشيطان .

4 - الدعوة إلى إهمال التعلم

أجمعت الأمة على : أن العلم باللغة من أساسيات المفسر الذي يتعرض لكلام الله ﷻ بالبيان والتبيان ، لكن أفتى الشيطان بأن ذلك غير مهم ، وذلك بالدعوة إلى إهمال قواعد اللغة ، ومن تلك القضايا المترتبة على هذا الفهم الأعمى .

(1) (تذكرة الحفاظ) 4 / 1219 .

فهم الناس قول الله تعالى : « **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** » ⁽¹⁾ . على أن معناه : إن تتقوا الله يعلمكم الله بدون معلم ، وبدون كتاب ، وبدون مدرسة وجامعة ، يضل بذلك المسلمين ، ويصرفهم عن طلب العلم والتعلم ، والعلم خير من النافلة ، كما قال العلماء ، ومن أقوالهم : فضل العلم خير من فضل العبادة .

ولا توجد في اللغة العربية رائحة لهذا العلم الشيطاني ، فإجماع العلماء على قوله تعالى : « **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** » جملتان ، واتقوا الله جملة مستأنفة ، ويعلمكم الله جملة مستأنفة ، أي : يعلمكم كيف تحفظون أموالكم بكتابة الدّين ، والاستشهاد بالرجال والنساء ... وغير ذلك مما سبق بيانه في أطول آية قرآنية هي : آية الدّين .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة متدفقة بالأمر بطلب العلم ، والنفرة إليه ، والتماسه عند الشيوخ .

وأول ما نزل من الذكر الحكيم : أمر بالقراءة ، وفي الحديث : « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ** » ⁽²⁾ .

وقد أمر النبي - ﷺ - بأخذ القرآن من « **أبي بن كعب** » و « **معاذ بن جبل** » ، وقال : « **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيقًا كَمَا نَزَلَ ، فَلْيَقْرَأْ بِقِرَاءَةِ أُمِّ عَبْدِ .** » أي : ابن مسعود . وكان عمر يقول : من أراد القرآن فليأت أبا ، ومن أراد الفرائض فليأت « **معاذاً** » .

وفي الحديث : « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** » ⁽³⁾ ، وقد علم جبريل - عليه السلام -

رسول الله - ﷺ - الوضوء والصلاة ، وقال الله ﷻ - « **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** » ⁽⁴⁾ .

(1) البقرة : 282 .

(2) أبو داود / باب العلم / 1

(3) البخاري / باب فضائل القرآن / 15

(4) النجم : 5 .

ومن ذلك فهم الناس قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِنْهُمْ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾⁽¹⁾ على أن التقى هو من يمكث في منى ثلاثة أيام، يرمي فيهن الجمرات، يربطون التقوى بمن ذكر الله في ثلاثة، فهو أفضل من الذي ذكره في يومين، وليس لعالم واحد خلاف في أن (لمن اتقى) لا صلة له بالثلاثة، والتقدير عند جميع العلماء: هذا بيان الله لمن اتقى. أي أن مَنْ رمى في يومين كمن رمى في ثلاثة، وهذا بيان الحج والرمي.

لكن ما أكثر الذين يتحدثون بغير الفقه الشرعي، ويتبعون فقه الهوى والجهل وهو: كيد الشيطان.

ومن ذلك فهم بعض الناس قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾⁽²⁾. على أن ذلك دليل من الكتاب على جواز نكاح المتعة المحدد بوقت، والحق أن الزواج الشرعي المعروف المؤبد - إلا ما اعترته استحالة معاشرة فَيُسْنُ عندئذ الطلاق - كله استمتاع، فالزوج يستمتع بزوجه، والزوجة تستمتع بزوجها دون مدة.

وأقل دليل على أن هذا من فقه الهوى والجهل: أن الزواج المسمى قديماً: متعة، لا متعة فيه، حيث إن مَنْ علم بمؤذن الدواعي لا يستمتع بشيء.

ومن الخطأ في اللغة: ما ذكره «الخطابي» أن أحد الشيوخ كان يروي حديث رسول الله - ﷺ - : نهى النبي - ﷺ - عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة بتسكين اللام، فظل أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة. والصواب «الحلق» جمع: حلقة، ولا صلة لها

(1) البقرة: 203.

(2) النساء: 24.

بالحلق الذي هو حلق الشعر، والحلق والحلق بفتح الحاء وكسرها: لغتان: جمع حلقة⁽¹⁾. أي: نهى عن اجتماع الناس في حلقات قبل الصلاة للعلم وعليهم الانشغال بالصلاة⁽²⁾.

ومثل ذلك ما ذكره «مسلم» في (صحيحه): أن رجلاً سئل عن حديث النبي - ﷺ - «لا تتخذوا الروح عرضاً» فقال معناه: لا تأخذوا الريح من عرض الحائط، فأغلق بعض الناس نوافذ بيوتهم حتى كاد أن يختنق من انحباس الهواء عنه. والصواب: لا تتخذوا الروح عرضاً، أي: لا تتخذوا الحيوان والطيور عرضاً عند الرمي، ولا صلة له بالريح وعرض الحائط.

ومن ذلك: فهم بعض الناس قول النبي - ﷺ - «لَا يَسْقُ أَحَدُكُمْ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ»، على أنه الماء الجاري المطلق، والزرع: زرع الأرض حتى قال بعضهم: قد كنا إذا فضل عنا ماء بساتيننا سرحناء إلى جيراننا، ونحن نستغفر الله. مع أن المراد: وطء الحبالى من السبايا أي: ينتظر حتى تلد الحبلى⁽³⁾.

5 - التزام بحمل الذنب

كنت أظن أنها مُزحة بين الناس، مع أن الدين ليس ميداناً للمُزاح، وإنما هو ميدان الوقار والجادة، وإنه أمر الناس بالترويح عن أنفسهم: إنها هي ساعة وساعة، وذلك حين سمعت بعض الناس يقول:

- لا، لا أفعل هذا، إنه حرام.

فيرد عليه صاحبه، قائلاً:

- افعله، والذنب عليّ.

لم أستكمل الحوار، ولكنني رأيت بعد فترة أن هذا الحوار قد تطور، فإذا بالذي كان يقول: لا أفعل كذا، إنه حرام يقول:

(1) انظر القاموس المحيط: (ح ل ق).

(2) تلبس إبليس: ص: 141.

(3) السابق ص: 141.

- إنه حرام ، أفعله والذنب عليك ؟ وإذا بالآخر يبتسم ويقول :

- نعم نعم ، اجعل كل الذنب علي .

وهذا من كيد الشيطان ، وقد نبهنا الله - ﷻ - إليه في سورة العنكبوت ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾ (1) وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (1) .

إن هذا الاستخفاف يغري الفتيات الجاهلات ، ويؤدي بهن إلى البغاء بالاستدراج ، ويغري الجاهلين الذين يتوهمون أن ذنب الغيبة على المتحدث دون السامع ، والشيطان يوعز بذلك إليهم . يقول الشيطان : أنت بريء من هذا ، فإنك لا تستطيع أن تكتمه (المغتاب) إنه ضيفك ، ثم إنك تعلم أن الإسلام دين الذوق ، وأنت إذا قلت له : اكفف عن هذا ، جرحت مشاعره ، وإذا كان من رحم المستمع ، قال له الشيطان :

- أقطع رحمك ، وأنت تعرف ثواب صلة الرحم ، اسمع وكأنك ما تسمع ، كما قال الشيطان « لعمر بن لحي » أول من قال لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، فلما قال عمرو : كيف ذلك ؟

قال الشيطان : قل : « تملكه وما ملك » فكأنك لم تقل شيئاً ، فقال ، فكان في الجحيم .

إن يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

لقد شرع الدين الإحالة ، والوكالة ، والضمان في الدين في المعاملات نوعاً من أنواع البر والتيسير على الناس ، تقول : أعطه وأنا ضامن ، فتقضي حاجة أخيك ، والضامن

(1) العنكبوت : 12 ، 13 .

غارم . لكنك لا تستطيع ضمانه يوم الدين ، ولا حمل أوزاره ، وأنت تكفل أخاك ، فتكتسب بذلك رضا الله ، وتكفل اليتيم ، فتكون أقرب ما تكون من رسول الله - ﷺ - في الجنة « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » كذا قال المعصوم - ﷺ - وَأَشَارَ بِأَصْبِعَيْهِ (1) ، لكنك لا تكفله يوم الدين إن فعل السيئات ، ولا يكفلك .

إن أمر الحساب يوم الدين يختلف عن حساب الفنادق والمطاعم في الدنيا حين تقول للمحاسب : حساب هذا عندي ، فيتركه يأكل ويشرب ويرتع ، وأنت المسئول عن تكلفة ذلك ، والأمر يوم القيامة مختلف .

6 - الله خير الشاهدين

قال لها : إنك زوجتي أمام الله ، والله خير الشاهدين ، وليس بعد الله شيء ، ألا ترضين بشهادة الله ! قالت : آمنت بالله ، ولكن يا ابن الناس ، لماذا نفعل ذلك ونترك ما عليه الناس ، ألسنا من الناس ، قال لها : ألا تعلمين الظروف ، والقيود ، والعادات والتقاليد ، ألم أشرح ذلك لك ألف مرة ، أين ذكاؤك ، أين عقلك الذي يزن بلداً بما فيه يا مديحة ... حوحوه ... حبيبتى .. ربنا شاهد علينا ، أنت زوجتي أمام الله .

وبهذا الضلال الشيطاني أرداها ، وكانت علاقة الزنا ، فلما حملت ، قال لها : - تعلمين أنني غير منكر ، أن ما في بطنك ولدي أمام الله ، ولكنها الظروف ، لا بد من الإجهاض حتى تيسر الظروف .

والله ﷻ خير الشاهدين وأحكم الحاكمين ، ولكن فقه الإسلام لا يعرف هذا الضلال ؛ إذ إن الله ﷻ هو القائل : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ (2) .

وكل الأمور التي يذكر فيها هذا التعبير لا تتأتى من مسلم ، وفقهاء المسلمين يقولون : مَنْ قال لزوجته : أنت طالق إن شاء الله لا يقع طلاقه ؛ لأنه علق الطلاق على

(1) الدارمي / باب الأدب / 123 .

(2) البقرة : 282 .

مجهول بالنسبة إليه ، لكنه لو قال لها : أنت طالق إن جاء زيدٌ وقع طلاقه إن جاء زيد ؛ لأن زيدا من الممكن مجيئه .

وفي سيرة السلف الصالح ، وجدنا « قيس بن سعد بن عبادة » في سفر مع صحابة رسول الله - ﷺ - وقد جاع القوم ، فقال الكريم ابن الكريم : قيس بن سعد بن عبادة : « مَنْ رجل يعطيني إبلاً وله بثمانها تمر إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » .

وجاء أعرابي بما طلب ، وأراد أن يشهد على ذلك عمر بن الخطاب ، فأبى عمر ، وقال : كيف أشهد والمال مال أبيك ، ولا مال لك . لكن قيساً قال : إن أبي يعطي مَنْ لا يعرف ، أفلا يعطي ولده ، وقد أطعم به صحابة رسول الله - ﷺ - !

وكان النبي - ﷺ - قد اشترى فرساً من أعرابي ، على أن يعطيه الثمن إذا رجعوا إلى المدينة ، وفي الطريق عرض عليه أناس ثمناً أكبر مما اتفق عليه مع النبي - ﷺ - ولم يكونوا يعلمون أن النبي - ﷺ - اشتراه ، فسأل لعاب الرجل وراء الربح الوفير الزائد وقال للنبي - ﷺ - :

- إما أن تشتريه ، وإما أن أبيعته .

فلما قال النبي الكريم - ﷺ - : لقد اشتريته ، أنكر الأعرابي ، وقال له هل معك من شاهد ؟ فقال « خزيمة بن ثابت » :

- أنا أشهد .

ولم يكن شهد البيع ، فكان أول شيء قاله النبي - ﷺ - له .

- كيف تشهد ولم تكن معنا ؟!

فقال : يا رسول الله ، أنا أصدقك في خبر السماء وهو أكبر من ذلك ، ونهاه النبي - ﷺ - عن العود لمثله ، وعدت شهادته شهادة رجلين .

وقد قيل : إن النبي - ﷺ - تركه للأعرابي ، ودعا عليه فأصبح الفرس ميتاً⁽¹⁾ .

فللمعاملات في الإسلام نظام يتبع ، وللعقود شروط صحة مسطورة معروفة . وما عدا ذلك باطل فاسد ، وإن قال فيه الناس : « والله خير الشاهدين » فإن الأعرابي سأل شاهداً ، ولم ينكر النبي - ﷺ - ذلك ، بل إنه قال لخزيمة - ﷺ - : كيف تشهد ولم تكن معنا ؟!

وقال خزيمة : أشهد بصدقك يا رسول الله .

فما قال : تم البيع وانعقد ، بل جاء في (مسند الحارث) أنه - ﷺ - رد الفرس ، وقال للأعرابي : لا بارك الله لك فيها ، فأصبحت ميتة رافعة رجلها .

وقد جعل الحق - تعالى - شهادة الرجل على زوجته بالزنا أربع شهادات ، وهذا في الملاعة ؛ لتعذر أن يحصل على أربعة شهود ، وقد دخل بيته ، ففوجئ بهذا المشهد المروع ، ومع ذلك .. فللملاعة أصولها وقواعد إجرائها ، ويتم التفريق بين المتلاعنين أبداً .

7 - الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر

وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول النبي - ﷺ - : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ »⁽²⁾ دخل إبليس بكيدة في عقول كثير من الناس ، فأوهمهم بأن الدنيا سجن المؤمن ، وأن له الآخرة ، وعليه بناء على ذلك .. أن يرضى بالقليل ، ولا يفكر في كشف البؤس ، ولا البحث عن مزيد من الخير . فعلام يبحث عن المزيد ، والدنيا سجنه . هل وجدتمكم - هكذا يقول الشيطان - رجلاً في السجن ينشغل بالدنيا ومكاسبها إنه هكذا قابع في مكانه ، راض بقدره ، حتى يستوفي مدة العقوبة ، ثم يخرج من هذا السجن الضيق إلى الحياة الواسعة ، حيث الآخرة ، جنات النعيم .

(1) (الروض الأثف) 3/ 84 .

(2) الترمذي / باب الزهد / 16 .

أما الفقه الإسلامي لهذا النص الشريف ، فيرى أن الدنيا على الرغم مما فيها من نعيم ، سجن بالنسبة إلى نعيم الآخرة ، وليس معناه أن المسلم محكوم عليه بالضيق والمرض وسائر العلل وصنوف التخلف .

أي : إن المسلم مهما حصل من الدنيا على نعيم متعددة صنوفه ، متنوعة روافده ، مختلفة ألوانه ، فهو كأنه في سجن بالنسبة إلى ما أعدّه الله ﷻ له من نعيم الآخرة .

فقد ولي « ابن حجر » منصب قاضي القضاة ، ومرّ في موكب عظيم وهيئة جميلة ، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار ، وأثوابه ملطخة بالزيت ، وهو في هيئة في غاية القبح ، فقبض على لجام بغلته ، وقال :

- يا شيخ الإسلام ، تزعم أن نبيكم قال : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . فأني سجن أنت فيه ؟ وأي جنة أنا فيها ؟ فقال ابن حجر : أنا بالنسبة لما أعدّه الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن ، وأنت بالنسبة لما أعدّه لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك الآن في جنة ؛ فأسلم اليهودي ⁽¹⁾ .

أسلم الرجل لما رأى من فقه المسلمين ، وغيره الآن يكفر لما يرى من كيد الشياطين ، لقد حدثني أناس أن بعض الذين سافروا وهاجروا إلى أمريكا وأوروبا ، لا يصلون ولا يصومون ، والله أعلم بما في قلوبهم . وأن أحدهم قال :

- سوف أذهب إلى مكان كذا غداً .

فقال جليسه :

- قل : إن شاء الله يا محمد ، فأنت مسلم .

فقال :

- ولماذا أقول إن شاء الله ، إن أحداً في أمريكا لا يقول إن شاء الله ، وهم متقدمون ، ومشوا فوق سطح القمر ، والذين يقولون إن شاء الله يعيشون في المجاري والذل والفقر .

(1) (فيض القدير) 3 / 702 .

هذا منطق الشياطين وكيدهم الذي يتلخص في كلمة واحدة هي : « الفتنة » الفتنة بالظاهر والواقع .

وعلاج الفتنة واجب ، وهو لا يكون بالخطب ، وإنما يكون بتغيير الحال ، وأن علينا أن ننهض من سجن الضلال الشيطاني إلى ميدان الحرية والعمل ، والجودة ، واقتحام الأسواق العالمية ، وتنشيط البحث العلمي ، والإفادة من العقول النيرة ، فليس من الحكمة أن توهب لك شمعة ، فإذا بك تطفئها وتمشي في الظلام ⁽¹⁾ .

إن علينا أن نستغل ثرواتنا ، وأن نسبق غيرنا ؛ حتى تبدو صورتنا على الوجه الصحيح الذي يجب أن تكون عليه ، فله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ورحم الله أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب حين ودع أحد ولاته وقال له :

- ماذا تفعل إن جاءك الناس بسارق ؟

فقال الوالي :

- أقطع يده .

فقال عمر : ولو جاءني منهم جائع ، لقطعت أنا يده .

أي : قبل أن تفكر في الحدود آمن للناس طريقهم ، ووفر لهم سبل الحياة الكريمة ، فإن حاد منهم أحد عن الجادة ، وقد أمنت له ذلك ، فاقطع يده .

والإسلام يخفف العقوبة بحسب حال المجرمين ، والدليل على ذلك : أن عقوبة الزاني غير المحصن : جلد مائة ، أما المحصن فحدّه : الرجم ؛ لأن المحصن هو المتزوج ، فعلام اعتدائه على أعراض الناس ، وعنده ما يسد حاجته . وقد شرع له الإسلام الزواج بأربع ، وشرع له الطلاق إن استحالت العشرة .

فدعوى : أن الدنيا سجن المؤمن ، وأنه لا بد أن يكون مبتلياً فيها عمره ، وأن هذا قضاء الله وقدره ، بل هو من فتن الشيطان لتزداد الأمة تأخرًا وتخلّفًا .

(1) (تلييس إبليس) ص : 68 .

والله **عَجَلِك** عبر عن الابتلاء بشيء ، حين قال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَنَشَرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ (٢) . والتعبير بشيء ونقص يدلان على : أن الابتلاء ليس دماراً شاملاً ، ولا عذاباً عظيماً ، وهو مع ذلك مقرون بالفرج متى صبر المبتلى .

8 - لزوم ما لا يلزم

عرف الأدباء في الأدب : لزوم ما لا يلزم ، وهو إن كان له وجه في مجال الإبداع ، فليس له من وجه في الإسلام إلا عن طريق الابتداء ، أما الدين الصحيح فهو في الاتباع ، ومن لزوم ما يلزم : أن يتحرى الناس قواعد الشرع فيعملوا بها ويتمسكوا بها . ومن لزوم ما لا يلزم : الإصرار على مؤخر الصداق ، يقول متبعو كيد الشيطان للمتقدم :
- الشبكة بكذا ، والمؤخر كذا .

وليس في الإسلام شيء اسمه : شبكة ، وفي الإسلام خطبة بكسر الخاء ، وهي طلب واستئناس ووعد بالزواج ، والصداق حق المرأة ، قال الله - **عَجَلِك** - : ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ۚ ﴾ (٢) .

وما عليه الفقه الإسلامي أنه : لا حد لأوله ، ولا حد لآخره ، إما أن يدفع كله ، وإما أن يؤخر كله ، وإما أن يدفع بعضه ويؤخر بعضه ، وتستحقه المرأة بالدخول ، فإن طلقها قبل الدخول بها ، فلها النصف إلا أن تعفو فلا تأخذ ، أو يعفو فيعطيهها الصداق كله .

(١) البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) النساء : ٤ .

أما أن يستحيل الأمر إلى عرف جديد تحت عنوان : « مؤخر الصداق » وكم تكتب ؟ وكم ستكتب ؟ وفلانة كتب لها كذا ، وكتب لفلانة كذا ، وابتنتا ليست أقل من كذا وكذا ، والشيطان يقول للمتزوج المقبل على هذا :

- اكتب ، ولا يهملك ، فكله خبر على الورق ، ثم يقول له على لسان أحد أوليائه من الإنس :

- إن الرجل يملك أن يجعل المرأة تنازل عن كل شيء ، حتى عن شعر رأسها ، فلا يعينك .

وهو بذلك يزرع فيه معنى العدوان ، وهو مقبل على صفحة بيضاء من المودة الخالية من سابق أذى أو كدر ، وتكون من بعد ذلك الخصومات والقضايا والشقاق ، وسوء الذكريات وسوء المصير .

فأمر الزواج سهل ، لكن الناس - بضلال الشيطان - يعسرون اليسير ، ويسرون العسير .

9 - باب التوكل على الله

والتوكل على الله **عَجَلِك** : منهج الأنبياء والصالحين المؤمنين الذين يعلمون أن التوكل على الله **عَجَلِك** معناه : الثقة بالله ، مع الأخذ بكل سبب يتوصل به إلى الغاية المنشودة ، والحاجة المرجوة . فلقد كان نوح - **عَلَيْهِ السَّلَام** - متوكلاً على الله ، وهو يصنع السفينة التي نجاه الله - **عَجَلِك** - عليها .

وكان نوح - **عَلَيْهِ السَّلَام** - متوكلاً على الله وهو يدعو قومه ليلاً ونهاراً .

وكان إبراهيم - **عَلَيْهِ السَّلَام** - متوكلاً على الله **عَجَلِك** ، وهو يرفع القواعد من البيت .

وكانت هاجر وزوجه وأم إسماعيل ، متوكلة على الله **عَجَلِك** ، وهي تسعى بين الصفا والمروة بحثاً عن ماء بعد ما نفذ ما لديها .

وكان سيدنا محمد - ﷺ - متوكلاً على الله حين دعا قومه ، وصعد إلى الطائف على قدميه .

وكان - ﷺ - متوكلاً على الله حين قال لأصحابه : هاجروا إلى الحبشة ؛ فإن فيها ملكاً عادلاً لا يظلم عنده الناس .

وكان - ﷺ - متوكلاً على الله حين اتخذ دليل صحراء هو « عبد الله بن أريقط » وكان خريّثاً أي : دليلاً ماهراً .

وكان - ﷺ - متوكلاً على الله حين مكث بغار ثور ، هو وصاحبه أبو بكر ثلاث ليال .

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - متوكلين على الله وهم يعملون جاهدين ، ويتاجرون رابحين ، ويأكلون مما كسبوا . وكان جيش المسلمين متوكلاً على الله - ﷻ - حين تدرب وتحرف لقتال وتحيز إلى فئة ، وعلم أن الحرب خدعة . .

هذا هو فقه الدين ، أما فتوى الشيطان فهي : أن ترمي حمولك على الذي خلقك . وأن كل شيء بقضاء ، وأن اللقمة تنادي أكلها لا مفر .

ورحم الله « الجاحظ » إذ ذكر في كتابه : (البخلاء) أن رجلاً كان يتحين وقت غداء قوم كل يوم . وكان يقول : سبحان الله ، كلُّ بقدر .

فقال له أحد الحضور : هلا تخلفت ساعة عن موعدك الذي تأتي فيه وقلت هذا ⁽¹⁾ يعني : أنك ضابط ساعتك على موعد غدائنا ، ولو تخلفت ساعة عن هذا الموعد ما أكلت معنا .

ومن الروايات التي يجبها أصحاب هذا الفقه : أن أحد التلاميذ الذين هم شيوخ قال للشيخ الكبير : لقد رأيت كلباً أعمى إلى جوار المسجد ، وقلت : سبحان الله ! كيف يعيش هذا المسكين ؟ كيف يأكل ؟ وما إن تركت مكاني حتى رأيت كلباً بصيراً يجري نحوه ، وفي فيه (فمه) رغيف فوضعه أمامه ، وإذا به يأكله . فقلت : سبحان الله ، إن

الذي ساق إلى هذا الكلب الأعمى رزقه ، لن يضيعني . فقال الشيخ الكبير : ولماذا وضعت نفسك موضع الكلب الأعمى ، ولم تضعها موضع الكلب البصير ؟!

إن من مقاصد كيد الشيطان : أن يجعل المسلمين كلهم كلاباً عمياناً ، ينتظرون الكلاب المبصرة ، تأتيهم برزقهم وهم قابعون نائمون قائلون : نحن المتوكلون ، ولا بأس أن تسمنهم تلك الكلاب ثم تأتي عليهم ، وتنهش لحومهم . وتستحوذ على أوطانهم .

لقد كان قوم من اليمن إذا حجوا لم يأخذوا زاداً ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا جاعوا مدوا أيديهم إلى الناس ، فأنزل الله - ﷻ - في ذلك ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ ⁽¹⁾ .

والله ﷻ حين يقول : « وتزودوا » إنها يأمر عباده المتوكلين ، فالتوكلون يتزودون ، ويأخذون بالأسباب ، وبها يرتقون ويصلون إلى غاياتهم بإذن الله وقوته .

وحين رأى النبي - ﷺ - رجلاً ملازماً المسجد سأل : « مَنْ يَعِينُهُ ؟ » فقال الناس : كلنا يا رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : كلكم خيرٌ منه .

هذا هو فقه الإسلام ، وقد جاء رجل في حادثة مشهورة إلى النبي - ﷺ - وقال :

- أأعقل ناقتي ، وأتوكل على الله يا رسول الله ، أم أرسلها ؟ فقال له :

- « إِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » ⁽²⁾ .

فالذين يعقلون دوابهم ، ويمارسون أنشطتهم ، ويجهدون في أعمالهم ، إنما هم المتوكلون حقاً ، وغيرهم الذين يهملون ولا يتحركون ، ولا يحركون ساكناً ليسوا متوكلين ، وإن ادعى أئمتهم أنهم أئمة المتوكلين .

(1) البقرة : 197 .

(2) الترمذي / باب القيامة / 60 .

10 - ادعاء الكرامة بين الزوجين

أخرج «مسلم» في (صحيحه)، عن «جابر بن عبد الله» - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - « إِنَّ إبليسَ يَضَعُ عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ ⁽¹⁾، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، فَيَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُسْرَتِهِ، فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ، فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ : فَيَذْنِيهِ مِنْهُ أَوْ قَالَ : فَيَلْتَزِمُهُ، وَيَقُولُ : نَعَمْ الْوَفِيُّ أَنْتَ » .

وبمثل هذا، يفعل مع الذي قتل أخاه أو أباه أو أمه أو جاره، أو اعتدى اعتداءً عظيمًا على أحد من الناس، فعلى قدر المصيبة والفتنة، تكون منزلة الشياطين عند كبيرهم، هؤلاء هم ذريته المخلصون الأوفياء لأبيهم . الذين يستجيون له، ويأتمرون بأمره، ويفعلون ما يسره، أذناهم منه منزلة : أعظمهم فتنة، أي : كلما كانت فتنة أحدهم عظيمة كان أدنى إلى أبيه من غيره .

على عكس المسلمين : أعظم الأبناء فتنة أبعد منزلة من أبيه، وهم عنده سواء، يعدل بينهم في العطية، لأنه يجب أن يكونوا له في البر سواء، كما قال النبي - ﷺ - لمن أراد أن ينحل (يمنح) ولده شيئاً دون إخوته، وقال له : لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ .

ومن فتنة الشيطان بين الزوجين سعيًا إلى الفراق : ادعاء الكرامة لأدنى ملابسة .

كلمة غير طيبة في لحظة غضب تقوم دنيا من قيلت له منهما ولا تقعد، ويصر - بسبب أتعفه الأسباب - على الفراق .

وإني لأذكر هنا في حديث «أم زرع» الذي رواه البخاري، أن إحدى النساء قالت : «إنها إن تنطق تطلق، وإن تسكت تعلق» .

وأسأل : كيف عاشت تلك المرأة على هذه الحال، سوى أنها كانت ذات كيان أسرى لا ينصرم، وأن لها مندوحة عن الكلام وعن السكوت، وأن هذا الأمر في الغالب كما في

حديث النبي - ﷺ - « لفاطمة بنت قيس » : « إِنَّ أَبَا جَهْمٍ رَجُلٌ لَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ » .

ولا شك أنه يضع العصا عندما ينام، وعندما يقضي حاجته، لكن هذا تعبير يدل على الغالب من أمره .

وبهذا أفتى الشافعي رحمه الله بعدم طلاق مَنْ حلف بالطلاق على ببغاء باعه، أنه لا يكف عن الغناء، وهو بلا شك يكف ساعة، فقال الشافعي لا يقع الطلاق؛ لأنه في الأغلب لا يكف، كما أن أبا جهم في الأغلب يضع العصا عن عاتقه .

ونحن في زمان كثر فيه الطلاق، إنه يحدث بعد الزواج بأيام، وأشهر قليلة، وقد قال لي أحد الشباب : إنه مر على أكثر من مأذون فلم يجد عنده ورقة من أجل إثبات الطلاق، فقد نفدت دفاتره، لكن دفاتر الزواج متوافرة بكثرة، وهذا يدل على كثرة حدوثه بين الشباب الذين ضاقت صدورهم، وتوهموا أشياء موحية للطلاق وهي ليست موجبة، مما يدل على نجاح الشياطين في الإيقاع بين الأزواج؛ ليحفظوا بأعلى المنازل عند الشيطان الكبير أبيهم .

والزواج ميثاق غليظ، لا ينتقض لأتفه الأسباب، بسوء رفع صوت، ولا كلمة، أو تدخل من هنا وهناك، وما شرع الله ﷻ - الطلاق إلا حلاً لحياة استحالت، لكن ما دام في الأمر إمكانية لاستمرار الحياة بين الزوجين، فمن النقيصة في المروءة والخلق والدين أن تنفض الأسرة الوليدة . إن على لسان الولد الشاب إذا قالت زوجته : أنا راحلة، صاح : (الباب يتسع لجمل) أو في (ستين داهية) . أكلشيهات باتت معلقة على اللسان بسبب صداد الليل والنهار من المسلسلات والأفلام التي منها تحفظ الناس هذه الأساليب البذيئة .

وفي أجساد الفتيات كهرباء ذاتية، سرعان ما تنبعث لأدنى ملابسة، فتهب الواحدة منهن عازمة على الرحيل، وإلام الأسر والدنيا لدي !

وبهذا تخرب البيوت ، وكما قال العوام من قديم : (الجنازة حارة والميت كلب)
تسمع مثل هذه الكلمات

• وما الذي يجبرك على الذل ؟ وما الذي يملكك على الإهانة ؟

• وهل نسي ابنة مَنْ أَنْتَ ؟

• ومثل هذا الرجل لا يُعَاشِر .

كلمات خطيرة ، فإن سألت عما وراءها من سبب لإطلاقها وجدت شيئاً تافهاً ،
والله عز وجل - يقول : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾⁽¹⁾ .

وليس من العدل في القول : إطلاق مثل هذه العبارات الكبيرة ، وما تحتها من المعاني
قليل ضئيل .

11 - قيام الليل وسائر النوافل

أذكر هنا ما قاله « ابن الجوزي » - رحمه الله - في (تلبيس إبليس) حيث قال ما
نصه : « ومنهم من يحث على الزهد ، وقيام الليل ، ولا يبين للعامة المقصود ، فربما تاب
الرجل منهم وانقطع إلى زاوية ، أو خرج إلى جبل ، فبقيت عائلته لا شيء لهم »⁽²⁾ .

فإن فيها الهدف من هذا المبحث ، وهو فقد المعادلة بين الواجب والنافلة ، إن قومًا
- خصوصًا في بعض القنوات الفضائية - لا يتحدثون إلا عن النوافل والهيئات ، وتحري
اللبس ومقدار الأخذ والترك من الشارب ، وغير ذلك مما يوهم أن الإسلام هو هذا دون
سواه ، وفقه المسلمين يقوم على تقديم الركن على النافلة ، والمكتوبة على المسنونة . وقد
روى البخاري وغيره من حديث « ضُمام بن ثعلبة » الذي عرف الأركان من رسول

(1) الأنعام : 152 .

(2) (تلبيس إبليس) ص : 152 .

الله - ﷺ - وقال : لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ . فقال النبي - ﷺ - : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » ،
وفي رواية : « دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ »⁽¹⁾ .

ولو أن مسلمًا أدى الأركان وصلى الخمس ونام بعد العشاء ، كالأمر من عمله ؛
ليستعيد نشاطه ويجري على مَنْ يعولهم كي يفهمهم عن السؤال وعن الحرام ، لأدى ما عليه
شرعًا . لكن الدعوة إلى النوافل بهذا الشكل الذي قد يفهمه العوام على أنه المنقذ من النار،
وأهم هالكون إن لم يفعلوه ، فبييت الرجل متهجدًا طوال الليل ، وربما غفل عن صلاة
الفجر ، أو قام إلى عمله نائمًا مفطرًا ، إنما هو من كيد الشيطان لا من فقه الإسلام .

والشيطان يفتح على الإنسان ألف باب من الخير ، من أجل باب من الشر .

فما أسعده عندما يهمل المسلمون أعمالهم ، وينامون في أماكن وظائفهم ، ويفصلون
منها ، ويتسولون ، وبعد ذلك يسرقون ، أو يرون عاقبة أمرهم هذه دليلًا على فساد دينهم
ومعتقداتهم .

لقد نظم النبي - ﷺ - المسألة ، ووضع لذلك ضابطًا محكمًا : « كَلَّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ
مَا يُطِيقُونَ » وإن الله لا يمل حتى تملوا ، وأعط كل ذي حق حقه .

12 - الاستخفاف بشعائر الله

ما شوهه النبي - ﷺ - - إلا مبتسما ، وفي الآونة الأخيرة ظهر بعض الدعاة في شكل
جميل ، وهيئة جميلة ، وابتسامة عريضة ، وتحبوا إلى الناس ، وأجبههم الناس ، وأقبل عليهم
الشباب ، وقيل بلغة النجوم : نجحوا بسبب ذلك ، واتهم بعض كبار العلماء بأن
الناس قد انصرفوا عنهم ، وعزفوا عن الاستماع إليهم ؛ لأنهم من حيث الشكل تقليديون ،
ومن حيث الأسلوب متزمتون جامدون ، يتحدثون الفصحى ، ولا أحد يحب الفصحى ،
ولا أحد من الشباب يفهمها .

(1) البخاري / إيمان / 24 .

لقد تغير الزمان ، والناس يريدون داعية يلبس رداءهم ، ويتحدث بلغتهم ، ويداعبهم ، ويلاعبهم حتى يقبلوا عليه .

ولا بأس بأن يرتدي الداعية ملابس عصره ، ما دامت نظيفة محترمة تستر عورته ، وتزين هيئته وأسلوبه السهل ، وعبقريته في العرض الجذاب ، والتناول الطريف ، كل ذلك مطلوب متى أريد به وجه الله - ﷻ - وخلصت النية لله ، وكانت الرغبة تعليم الناس دينهم ، لا الشهرة ولا غيرها .

وقد بالغ بعض هؤلاء في هذه المسألة ؛ فاتخذ السخرية والاستخفاف بالعلوم الدينية ، ورمى كبار الشيوخ بالنكات اللاذعة وسيلة لجذب الناس ، وهذا من نفسه والشيطان بلا شك ، وقد سمعت بعضهم ، وقد قدم إليه أحد الفضلاء رجلاً يعرفه به ، فقال :

- هذا فلان ، وهو عزيز عليّ .

فضحك الموسوم بالشيخ وقال :

- ما دام عزيزاً عليك ، فنحن نسقط عنه الطواف

ها ها ها ها

كان ذلك في موسم الحج ، الذي يعلم فيه الشيوخ الوفود شعائر الله ، فهل هذا من فقه المسلمين ؟ أم إنه عين ما تمليه الشياطين من الاستخفاف بالعلم وشعائر الله ؟

والله ﷻ يقول: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ⁽¹⁾ .
فهل يعد هذا من شعائر القلوب .

إن للشيخ في تاريخ المسلمين هبة واحتراماً لما يحمله من علم ، ولا تناقض بين تلك الهيبة وبين ابتسامته ورفقه بتلاميذه والمريدين له ، الراغبين في علمه .

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يجلسون بين يدي رسول الله - ﷺ - كأن على رؤوسهم الطير ، ولم يقل أحد بعد قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ⁽¹⁾ . إن هذا مأخذ على رسول الله - ﷺ - .

ولسنا في سباق ومباراة بين نجوم الفن الذين ينفق في فنهم من الأموال ما لو عرضت على النبي - ﷺ - . لما وسعه الغضب ، ولما رضي مما يسمى ثقافة وتنويراً . والناس يموتون من الجوع والعطش ، وقد نهى - ﷺ - عن الإسراف في ماء الوضوء ولو كان المتوضئ على نهر جار ، فما عسى أن يقول في المليارات التي تنفقها الأمة الإسلامية على الأفلام والحفلات أو غيرها ، وهي فقيرة متخلفة !

لسنا في مباريات مظهرية ، أينما له جمهور ؟ وإنما نحن أمام علم له قواعده وأصوله ، ولم يقل أحد إنه لا بد أن يعرض بالغاز ، ولا بد أن يعرض في تجههم وغلظة ، فسبيل الداعية إلى النجاح في دعوته :

- أن يكون عالماً بحق .

- وأن يحسن عرض بضاعته .

- وأن يكون مختصراً في عبارته .

فتلك سنة النبي - ﷺ - كان يتخول الناس بالموعظة خشية أن يملوا ، فليس من الفقه أن تستمر متحدثاً ساعتين ، وتقول : نجحت ، وأنت خلال الساعتين لم تكن عالماً ، وإنما ، كنت بهلواناً يتفرج عليه الناس .

إن الناس في حاجة إلى من يعلمهم دينهم ، وليسوا في حاجة إلى صاحب نكتة يضحكهم .

13 - مراقبة في عرس المسلمين

إن ليلة تنجيك من النار ، بتوبة حقيقية بترك الزنا إلى الزواج هي : ليلة العمر .

وصدقت المرأة التي قالت

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا لكنه من بلدة الكفر أنجاني

حتى قالت لها أم المؤمنين :

- مالك ! كلما قعدت بين يدي قلت هذا ، فما يوم الوشاح ؟ فقالت لها : إنها كانت جارية عند قوم ، وجاء يوم عرس ابنة لهم ، دخلت الحمام وتركت معها وشاحها ، فجاءت الحداة وظنته قطعة لحم واختطفته ، فاتهمت به ففتشوها حتى في موضع الولادة منها ، فشكت إلى الله براءتها ، فجاءت الحداة ، وألقت به بينهم ، فأعتقوها لحظة نجاة من قدر الله ، فتركتهم ، وسمعت بالإسلام فأسلمت وهاجرت ، وكانت تخدم في بيوت النبي - ﷺ - .

وليلة تؤدي فيها حقاً عليك هي : ليلة عمرك ، وليست ليلة العمر هي ليلة الزفاف إلا عن طريق طلب العفاف ، ولا تكون بمعصية الله ﷻ .

إن بعض المسلمين حين يحتفلون بليالي العرس ، ويشاهدون راقصة عارية ، إنما يعصون ربهم دون انفعال ولا غضب ولا ثورة ، وبهدوء . فإن أحداً مما له أدنى علم بدين الله - ﷻ - لا يجوز النظر إلى عورة امرأة ، ولا إلى اهتزازها وتمايلها ولو كانت منتقبة ، فهذا حرام بلا شك ولا جدال .

وليس في دين الله استثناء إلا لمضطر يأكل ميتة في طريق الهلكة حتى يبلغ العمران ، والضرورة تقدر بقدرها ، فأية ضرورة تدفع بالمسلمين إلى تعري النساء ، واهتزازهن ، وتمايلهن تعبيراً عن فرح . والفرح إحساس قلبي ، إن تبعه ضرب بالدف ، فلا يتبعه خروج عن تعاليم الشريعة وآداب الدين .

14 - صرف الهمّة إلى الجارحة

ما وجدت أحداً يتكلم عن أهل اليمين وأصحاب اليمين ، إلا من ناحية الجارحة ، وفي ذلك صرف للهمّة إلى استعمال اليمين والأكل باليمين ، والشرب باليمين ، والنوم على الجنب اليمين . ورأيت أحد الوعاظ يخاطب رجلاً فاضلاً يستعمل شماله مذ عرف الحياة قائلاً له : حاول يا حاج ، فاستعمال الشمال للشيطان ؛ فالشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .. حاول حاول .. حاول حتى بكى الرجل ، وحاول أن يأكل بيمينه ، فسقط الطعام على صدره ، وبكى بكاءً مرّاً . يذكرني هذا بالرجل الذي سمع حديث النبي - ﷺ - « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ » ⁽¹⁾ وكان يعمل قَتَّاتاً أي : يجمع علف الدواب الأخضر ويبيعه ، وهذا هو القَتُّ ، فقام وهو يقول : تبت إلى الله ، لن أعمل هذا العمل بعد اليوم ، وقام يبكي حتى أدركه طالب علم ، وعلم ما التبس عليه وقال : إن ذلك ليس مراد النبي - ﷺ - فالقَتَّات هو المغتاب الذي يمشي بالغيبة ، وليس من يجمع علف الدواب ، فهذأت نائرة الرجل ، وكفكف الطالب دمعته ، وبهذا قلت للرجل الفاضل : إن استعمال اليمين سنة للقادر على ذلك ، وقد دعا النبي - ﷺ - على مَنْ قِيلَ له : كل بيمينك . فقال : لا أستطيع ، دعا عليه النبي - ﷺ - - لأنه كذب ، حيث كان قادراً على استعمال اليمين .

والشيطان كما لبس على أناس حفظ الشعر والأدب وقواعد الألعاب ، وأنسأهم الفقه والعلم بالدين ، كذلك يصرف الهمّة إلى استعمال الجارحة ، ترى القوم في مدخل عمارة ، هذا يتقدم وهذا يتأخر ؛ لكي يدخل العظيم من جهة اليمين .

وقد روى « الواقدي » أن النبي - ﷺ - من شدة التعب بسبب الحفر في الخندق ، استلقى على جنبه الأيسر ونام قليلاً ، والضرورة تقدر بقدرها ، وقد تكون في وضع تكون فيه شمالك أقرب لأخذ شيء من صاحبك ، ولو استدرت لكي تأخذ باليمين لوقعت كارثة ، وهكذا .

(1) البخاري / أدب / 50 .

إنَّ العزوف عن اليمين مع القدرة على استعمالها شر كبير ؛ لأن فيه عزوفًا عن سنة المعصوم - ﷺ - والمهم أن تأخذ كتابك بيمينك يوم الدين ⁽¹⁾.

ونحن في حاجة إلى صرف الهمة نحو العمل ، فأصحاب اليمين كما جاء في كتاب ربنا - تعالى - الذين يفكون الرقاب ، ويطعمون اليتيم القريب والمسكين المحتاج ، ويتواصون بالصبر ، ويتواصون بالرحمة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ ١٢٧ ﴾ فَكَ رَقَبَةٍ ﴿ ١٢٨ ﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿ ١٢٩ ﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿ ١٣٠ ﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ ١٣١ ﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿ ١٣٢ ﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ﴿ ١٣٣ ﴾ ⁽²⁾.

لكن كيف يترك الشيطان للمسلمين فرصة لعمل الصالحات ، حتى يكونوا من أصحاب اليمين حقًا ، في ظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة !

إن أصحاب اليمين هم : أصحاب المنهج الرباني الذي بينه ربنا - ﷺ - في القرآن الكريم : يفكون الرقاب ، ويقضون عن الدينين ديونهم ، وعن الغارمين غرمهم ، ويطعمون الطعام ، خصوصًا في الشدائد وأيام العسرة ، ويعرفون الأولويات ، فهم يبدؤون باليتيم القريب ، ويسعفون المسكين المحتاج ، ويوصى بعضهم بعضًا بالصبر والرحمة ، فهم لا يهنون لما أصابهم في سبيل الله ، ولا يضعفون ، ولا يستكينون ، والله يحب الصابرين .

فإن كنت من هؤلاء ، فأنت من أصحاب اليمين حقًا ، وإن تعذر عليك استعمال يدك اليمنى ، فاستعملت اليسرى فليس من الإسلام أن تستعمل اليمنى في الأخذ ولا تستعملها في العطاء . وليس من فقه الإسلام أن ترى على هيئة المسلمين في الظاهر ، وقلبك قاسٍ ، لا يعرف الرحمة ، ويدك مغلولة إلى عنقك ، لا تحب لأخيك ما تحب

(1) (الغازي) 2 / 453 .

(2) البلد : 11 - 18 .

لنفسك ، وتحب أن تنزل بالناس النوازل وأنت آمن . لقد سمع الناس بالمدينة المنورة صوتًا بالليل ، فلما خرجوا وجدوا النبي - ﷺ - - قادمًا من جهة الصوت ، وقال لهم : لن تراعوا ، وطمأنهم فعادوا بالبشرى آمنين ، كان أول من خرج رسول الله - ﷺ - - وربما رأيت بعض الناس لا يعبأ بصراخ جيرانه ، ولا باستغاثة صبية يخطفها ذئب في وضح النهار ، على مرأى ومسمع من الناس ، وكأن على أعينهم غشاوة ، وفي آذانهم وقرا ، لا يبصرون ولا يسمعون .

وشاع على ألسنة كثير من الناس قولهم : « وأنا مالي » و « كفايا ما أنا فيه » ، وقد قالت زوجة مسلمة لزوجها - انهض يا رجل ، وأدرك الصبي قبل أن يقتله أبوه ، إن الولد يصرخ ، والرجل يضربه بلا رحمة ، وأمه غير موجودة ، فقال لها في برود أعصاب : - لن أكون أرحم منه على ولده ، دعيه يؤدبه .

ثم نادى الرجل ولده وقال له :

- ألا تسمع ، إنه جارنا يضرب ولده إلى درجة القتل ، حتى تعلم مدى رحمتي بك ، وأنا أباك رجل عظيم ، يحبك ، ويعطف عليك ، ولا يضربك ، ثم قبله وهو يرتجف لما يسمع . لو كان هذا مسلمًا راغبًا في أهل اليمين ، يحب أن يكون منهم لهرع ومنع الأذى ، فإن الوالد رحيم بولده وهو أرحم الناس به ، لكنه في ساعة الغضب الشديد يمكن أن يقتله ، والله ﷻ يدفع الناس بالناس .

وقد دخل « الأقرع بن حابس » على النبي - ﷺ - - ورآه يقبل « الحسن » فقال : أو تقبلون صبيانكم ؟ فقال ﷺ : نعم . فقال : إن لي عشرة من الأبناء ما قبلت واحدًا منهم ، فقال ﷺ : « وَمَا أَمْلِكُ ، وَقَدْ انْتَزَعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قَلْبِكَ ! »

إن رجلًا لا رحمة في قلبه ، يمكن أن يقتل ولده ، وقد زين الشيطان لأولياءه قتل أبنائهم فقتلوهم ، فلو أنه أدرك ذلك الفاقد للرحمة ، فمنعه من إيذاء ولده ، ووصاه بالصبر عليه ، وحسن تربيته ، لكان خيرًا له .

15 - صرف الهمّة إلى العبادة المجانية

لا شك أن العبادات كلها ، يتقرب العبد المكلف إلى الله - ﷻ - بها ، يرجو ثوابها ، ويتطهر بها . وكان الناس أيام الرسول - ﷺ - حريصين على أن يعرفوا الأفضل منها . وقد روى مسلم وغيره من أجوبة النبي - ﷺ - أن خير ما في الإسلام : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام . وقد سئل النبي - ﷺ - عن خير الرقاب ؟ فقال : « أَنْفُسُهَا وَأَغْلَاهَا ، وَالَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ ، فَلْيَتَصَدَّقْ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ، « وَرَبُّ دِرْهَمٍ سَبَقَ أَلْفَ دِرْهَمٍ » ، وقد تواترت الروايات عنه - ﷺ - أنه قال : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ - ﷺ - فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ، قَالَ : يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ وَيَتَصَدَّقُ ، أَيْ : يَأْكُلُ مِنْ أَثَرِ عَمَلِهِ وَيَتَصَدَّقُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : يُعِينُ ضَعِيفًا أَوْ يَعْمَلُ لِأَخْرَقٍ ، لَا يَسْتَطِيعُ الْعَمَلُ » ، حتى انتهى - ﷺ - إلى : « أَنْ مِنَ الصَّدَقَةِ الْكَفَّ عَنِ الشَّرِّ » .

وفي أحاديث كثيرة « الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » وفيها « إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » وفيها « وَأَنْ تُلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ » ، وفيها « الْمَعْرُوفُ كُلُّهُ صَدَقَةٌ » .

وأنت تجد طائفة عظيمة من الناس ، منشغلين بقيام الليل وصوم النهار ، وبأسلوب الموازنات : لم نسمع رسول الله - ﷺ - يقول : على كل مسلم قيام ليلة ولا على كل مسلم صوم يوم ، وإنما قال - ﷺ - « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى كُلِّ سَلَامَى ، أَيْ : عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ صَدَقَةٌ » (1) .

وهذا لا يعني التقليل من قيمة قيام الليل ، وصوم النهار للقادر عليهما ، وإنما يعني الأولويات الغائبة ، بسبب كيد الشيطان ، الذي من مقاصده : صرف الناس عن العطاء ،

(1) البخاري / صاح / 11 .

فهو يمنع الناس العطاء ، ويعدهم الفقر قال الله تعالى : « الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (1) .

وكم من إنسان نوى الصدقة ، وصرفه الشيطان عن نيته ، وكم من إنسان نوى أن يخرج مائة ، فما زال الشيطان يعبث بفكره حتى أخرج عشرة ، وهكذا . لقد جاء « أبا عقيل » رجلٌ من الأنصار بصاع تمر ، وهو الذي لمزه المنافقون ، وقالوا : إن الله غني عن صدقة هذا ، فأمره النبي - ﷺ - أن ينثره فوق الصدقات .

ولو أن المسلمين جُمِعت صدقاتهم وزكاتهم ، لصارت أموالاً هائلة ، فبلد كمصر لو افترضنا أن صدقة الفطر عشرة جنيهات ، وهي واجبة على المسلم ومن يعولهم صائمين كانوا أو مفطرين ، ومعنى ذلك أن خمسين مليوناً من الناس سوف يخرجونها فتكون الحصيلة 500.000000 خمسمائة مليون جنيه ، زكاة فطر في عام واحد ، فما بالناس بالزكاة الركن على الأموال والتجارة والزروع ؟

إن عشوائية الإنفاق والصدقات تؤدي إلى انتفاع بعض الفقراء ، وحرمان الكثير منهم ، فهناك عشرة معروفون يتصدق عليهم مائة ، وهناك ألف مجهولون لا يتصدق عليهم واحد ، فتتضخم ثروات المشهورين من الفقراء ، ويموت كثير منهم من الجوع ، كما تتضخم ثروات بعض الناس على حساب الملايين من الشعب الذي يشقى طويلاً ، ولا يحصل إلا على القليل .

16 - ظلم في المعاملة ، وصدقة قربي

لا أعرف في الفقه الإسلامي ظالماً ، والله يقطع دابر الذين ظلموا - وهو يتصدق قربي ، فالذي يتقرب إلى الله - ﷻ - إنما يتقرب إليه عن طريق رضاه ، لا عن طريق غضبه ، امنع الظلم وابحث عن الصدقة ، فإن وجدت فيها ونعمت ، وإن لم تجد فما عليك من حرج .

(1) البقرة : 268 .

أرسل صاحب عمل إلى رجل ليناقشه ويتفق معه على عمل له ، وظن الرجل أن الخير آت ، وذهب إليه وناقشه في العمل الذي يريده ، وقال له : سوف أدفع لك ألفين نظير هذا العمل ، وأقل تقدير لذلك أن يدفع له مائة ألف ، ابتلع الرجل ريقه ، وقال لصاحب العمل :

هل تتحدث بجد أم أنها دُعاة ؟ إن البون شاسع بين ما تعرضه وبين الواجب والعدل ، فقال له : هون عليك ، افعل ما تستطيع فعله ، إذ يكفي عندنا أن نقول : إن هذا العمل قام به فلان ، فقال الرجل : ولو ... إن النظر فقط في الموضوع قبل بدء العمل فيه يحتاج إلى ألوف مؤلفة للوقت القيم الذي يضيع فيه ، ثم إن للعمل ضوابط وجهداً ، ولو أي جاملتك لرضيت بمائة ألف .

وانصرف الرجل قائلاً : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأوصى صاحب العمل خادماً عنده أن يتبع الرجل حاملاً له بعض أغراضه إلى سيارته ، وفي الطريق .. سأل الرجل الخادم عن أحواله وظروفه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبره بأن صاحب العمل أعطاه عشرة آلاف جنيه بنى بها شقته في منزل أبيه ليتزوج .

فقال الرجل في نفسه :

- سبحان الله ، من حق مَنْ أعطاك العشرة أیظلم من هنا ، ويتصدق من حيث ظلم ، يا ليت ما ظلم وما تصدق !

هذا كيد الشيطان ، يوعز إلى أوليائه بأن العمل اجتهاد ، وأن المائة إذا نزلت إلى ألفين كان الربح مضاعفاً إليه ثمانين ، وأن تتصدق بشيء من ذلك على خادمك المسكين خير لك ، وأن تحج وتعتمر من مال المظلومين يقربك من رب العالمين .

هذا باطل ، واخلل بين ، فإن صاحب المال الحرام ينادي يوم حجه حين يقول : لبيك ، يقول الملك : لا لبيك ولا سعديك ، مالك حرام وحجك غير مبرور ، وسعيك غير مشكور .

17 - فتوى ، وتصحيح

سألني أحد الأغنياء فقال : هل يجوز إعطاء الخادم من مال الزكاة ؟ فقلت له : - إذا كان أجره الذي يتقاضاه منك هو أجره المعتاد الذي لو عمل عند غيرك لحصل عليه ، وكان لا يكفيه ، فإن ذلك يجوز . أما إذا كنت تعطيه خمسمائة ، وأنت ظالم ومثله يستحق أكثر من ذلك فأعطه حقه الذي يجب أن يأخذه ، ثم انظر بعد ذلك في حاله ، ومن عنده ممن يعولهم ، فإن كان محتاجاً بعد ذلك ، فهو أولى بالعطاء من الزكاة والصدقة .

إنها الفكرة نفسها : أعط الرجل دون حقه ، وزده من مال الزكاة .

وسألني رجل : هل يجوز إعطاء الوالدين من الزكاة ؟ والجواب : أن النفقة على الوالدين المحتاجين نفقة واجبة ، ولا يجوز إعطاء الزكاة أحداً ممن تجب عليك نفقتهم .

ولكن .. ما المانع الذي يمنعك من الإنفاق على والديك المحتاجين من أصل مالك ، فإن بقى بعد ذلك نصاب الزكاة فأخرج زكاة مالك على مستحقيها ، وإن لم يبق بعد ذلك شيء فلا شيء عليك ، وأنت بلا شك مأجور على تلك النفقة .

فإن الثابت عن رسول الله - ﷺ - أن المسلم إذا احتسب نفقته على مَنْ تجب عليه نفقتهم كان له بذلك الإنفاق أجر الصدقة ، وقد روى البخاري أن رسول الله - ﷺ - قال : « حَتَّى اللَّقْمَةِ تَضَعُهَا فِي فِي (فَمِ) زَوْجَتِكَ صَدَقَةٌ » ⁽¹⁾ .

فلماذا هذا التخبط والحيرة والاضطراب ، والأمر بين سهل ؟ ولماذا الإصرار على التصديق من أي وجه ؟

كذلك قال لي أحد الشباب : إنه سمع واعظاً يقول : افعل ما شئت وحج أو اعتمر ، فإن ذلك يمسح كل شيء ، فقلت له : يمسح كل شيء إن لم يكن هناك إصرار على المعاصي ، فليس في الإسلام شخص يقول : أفعّل الذنوب ثم أحج وأعتمر ، فإن ذلك يمحو ذاك .

(1) البخاري / وصايا / 2 .

وإنما في الإسلام : شخص نادم على ما كان منه بلا إصرار ، ويبحث عن كفارات لما ارتكب من خطايا وآثام .

18 - حكم المرتد

بلا فلسفة ، ولا تعقيد ، نقول : إن المرتد يستتاب ، فإن رجع فيها ونعمت ، وإن أصر قتل ، في الحديث : « لَا يَجْلُ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالْمُحَصَّنُ الرَّأْيِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ : الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » ⁽¹⁾ . رواه البخاري وغيره ، وعليه إجماع الناس ، وطويت الصفحة .

لكن فلسفة الشياطين الذين يقولون : إن الله - تعالى - يقول : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ⁽²⁾ .

وأقل من درس العربية ، يعلم أنه : من المستحيل أن يكون هذا خطاباً للمؤمنين بحرية الخروج من هذا الدين ، إنما هذا خطاب للناس قبل الدخول ، فلا يقال لمن تراه يأكل : « فمن شاء فليأكل » لأنه يأكل بالفعل ، إنما تقدم الطعام لقوم لا يأكلون ، فإن قلت : من شاء فليأكل ، ومن شاء فليدع ، كان لكلامك وجه .

ثم إن الذين يقولون : إن المرتد عن الإسلام إذا كان في حاله ، ولم يعتد على المسلمين فلا شيء عليه ، وهو حر . ماذا يريدون بهذا الكلام ؟ هل يريدون به بيان علم ، أم إثارة فتنة ، ودعوة إلى التفكير في الخروج بهدوء ، وعدم الأذى ؟

هل نحن في حاجة إلى تثبيت الناس على اليقين ؟ أم نحن في حاجة إلى تفجير موضوعات تجعلهم يعيدون النظر في دينهم ؟!

(1) البخاري / ديات / 6 .

(2) الكهف : 29 .

وقد سمعت أحد السادة الدكاترة يقول : إن قتل المرتد معناه : أنا نقول للناس : إن الإسلام ورطة ، من دخل فيه فلا يخرج منه أبداً .

والله العظيم ، هذا كلام الرجل بالحرف ، ولا أدري كيف يستسيغ ذلك البيان ، وكيف يشبه الدين بالورطة وهو نجاة ، ثم إننا حتى نثبت أن الدين ليس ورطة ، نفتح الطريق لكل من أراد الخروج !

هذا كلام يبعث على استفراغ الأمعاء ، والقيء دمًا من أمهات الصدور ، ولا أستطيع وصفه بشيء سوى أنه خطأ ، والخطأ الذي قال العلماء فيه : لا يسلم منه بشر ، إنما هو الخطأ في نسبة قول إلى قائل ، أو في تسمية إنسان بغير اسمه ، كما قيل في اسم « أم سلمة » (هند) إن اسمها (رملة) .

وكأن يقول قائل إن قول « زهير » :

قفا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو لامرئ القيس .

وكأن يقول قائل : إن « حمزة » - رضي الله عنه - يوم الخندق ، قال كذا ، فيقال له : أو قد بعث ؟ إنه مات يوم أحد ، وكانت في السنة الثالثة للهجرة وهي كانت قبل الخندق .

أما أن يقول دكتور حصل على درجة العالمية : نسبة إلى عالم ، وكتب اسمه في مصاف العلماء : إن الإسلام ليس ورطة ، فمن خرج منه فلا عقوبة ولا حد ، فإن ذلك لا وصف له سوى أن العزوف عنه أولى من النظر فيه . لكن فيه إشارة إلى ما وصلنا إليه من سوء الفكر ، وإعلان ما يستحي الحر أن يعلن عنه !

19 - الاستشفاء بالقرآن الكريم

وصرف الشيطان بكيده الأسود كثيرًا من الناس عن الاستشفاء بالقرآن الكريم ، من حيث الاهتداء به منهجًا ربانيًا ، يدعو إلى التوحيد والإخلاص والعدل والرحمة والعطاء ،

وهل يستشفى بأوائل سورة (المؤمنون) بأن نأخذ بأسباب الفلاح من إقامة الصلاة بخشوع ، والإعراض عن اللغو الذي صرنا نفتتح من أجله قنوات ونخصص له برامج ، وننق عليه مليارات ، فأفسدنا الذوق وضيعنا العمر ، وهو عزيز في غير ما منفعة ! وأن نعمل من أجل الزكاة ، وسد حاجات المساكين والفقراء ، إلى غير ذلك مما نزل في الكتاب مسطوراً . أم نقرأ تلك الآيات وكأنها تيممة ، ومن علق تيممة فلا أتم الله له !

إن الاستشفاء بالقرآن الكريم موضوع شُرُفْتُ بأن سجلته في ثلاثين حلقة لإذاعة القرآن الكريم بלבnan لرمضان سنة 1428 هـ . وما زال الأمل موصولاً في استكمالها ، وقد حظى بثناء مفتي لبنان : العلامة « محمد رشيد قباني » ، ومذيع الإذاعة الواعي الأستاذ « عبد الحليم قباني » ، وهو من شباب الأمة المشرف ، الذي يتطلع إلى الإصلاح بموضوعية واجتهاد .

ونحن في حاجة إلى جهود الأئمة المخلصين ، والدعاة المستنيرين في كل مكان ؛ لبيان ذلك للناس قضاءً على الأوهام ، وسعيًا بالفكر الإسلامي إلى الأمام .

20 - تفسير اليقظة والمنام

وكذلك عَجَّت الساحة الإعلامية بمدعي العلم بالمنام والرؤى ، وخصصت لذلك برامج ، وصار الناس يسألون هؤلاء عن أضغاث الأحلام ، وعن الكوابيس المزعجة التي نهي النبي - ﷺ - عن التحدث بها ، وبشر من يستعيز بالله ﷻ ويكتنم ما رآه منها بأنها لا تضره .

كل الناس يَحْلُمُونَ ، والرؤيا الصالحة من المبشرات ، وفي صلب البخاري قواعد ثلاث ، تضم كل ما يراه الإنسان في منامه : الخير من الله ، والشر من الشيطان ، وحديث النفس . فهلا فسر كل إنسان منامه وفق هذا البيان النبوي ، وهب من نومه إلى عمله ، وإنقاذ نفسه وأسرته وأمتة من الضعف والفقر ، والشيطان الذي صار فقيهاً ، يتبعه أكثر ممن اتبعوا الأئمة الأربعة !

ومحاربة الهوى والبدع والخرافات ، والتقوى والتزود للآخرة ، وإصلاح الدنيا وصحيح الدين إلى التعوذ به رقية على مرضى الكبد والطحال والقولون العصبي والأمزجة الفاسدة .

وكانه بذلك يريد أن يصرف الهمة عن الحياة إلى الموت . وعن الحركة إلى الخمول ، وعن الجادة إلى النيات ، ولنا في ذلك عمل مستقل ، نبين فيه أوجه الاستشفاء بالكتاب العزيز من أمراض الصدور المستعصية ، وأمراض النفوس الغريبة ، وتجدد على السنة طلبة ، المتأثرين بكيده عبارات : ظاهرها الصواب ، وباطنها الخطأ ، ومنها :

- أنه كلام الله .

- وفيه شفاء لما في الصدور .

- وفيه شفاء ورحمة .

- والرقية الشرعية ثابتة في السنة .

وغير ذلك مما ظاهره القبول ، ولكن المعاني غائبة ، فإن ما في الصدور شك وريب ، والمؤمن بالله ساعة يقرأ القرآن الكريم إنما يشفى به صدره من نزغات الشياطين التي توسوس بالشك وتزرع الريبة .

وإذا كان الله ﷻ يقول في سورة النساء : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ ⁽¹⁾ . إلى آخر آيات الميراث ، فهل يفهم من ذلك أن يعطى كل ذي

حق حقه من ميراث مورثه ؟ أم يقرأ ذلك على رأس مريض فيقوم وكأنه نشط من عقال ؟

وهل يستفاد من قول الله - ﷻ - : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۝ ﴾ ⁽²⁾ .

السعي في نزع الحقد والسواد والغل ، وإذابة جليد البعد ، وإطفاء نيران الخصومة ؟ أم نقرأ ذلك على رأس عليل حتى ينهض ليلعب مباراة كرة القدم ، ويحصل على الكأس الممتاز !

(1) النساء : 11 .

(2) الأنفال : 1 .

إن كل مدعٍ تفسير المنامات ، لا يعول على شيء في دعواه إلا على قصة يوسف - عليه السلام - غير متدبر آيات السورة الكريمة ، وأنه عليه السلام حين عبر الرؤيا للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، وجدها فرصة للحديث عن التوحيد والإيمان ، خمس آيات فيهن واحدة عن التفسير وأربع عن التوحيد ، فتركنا نحن الأربع الموحدة وعضضنا على المعبرة . فهل هذا فقه إسلامي ، أم هوس شيطاني !

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهُ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٢٥ ﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٦ ﴾ يَصْلِحْ جَنَى السَّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٢٧ ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ ءَأَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨ ﴾ يَصْلِحْ جَنَى السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٢٩ ﴾ (١) .

هذه خمس الآيات ، تتحدث الأربع الأولى منهن عن فضل الله عز وجل ، وأن عبادته خير من عبادة أرباب متفرقين : لا يملكون نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وعن شكر النعمة الذي يقتضي العمل ، وواحدة تتحدث عن تفسير الخُلَمين ، ثم إن يوسف عليه السلام - نبي ، وليس النبي كالداعي .

وللأنبياء - عليهم السلام - خصوصية ، منها : الرؤى والأحلام ، فرويا الأنبياء وحي ، وقد استأذن أبو بكر عليه السلام - رسول الله - ﷺ - في أن يفسر رؤيا رجل رآها ، فأذن له ، ثم سأل النبي - ﷺ - أصاب أم أخطأ فقال له - ﷺ - : « أَصَبْتَ فِي بَعْضٍ ، وَأَخْطَأْتَ فِي بَعْضٍ » ، فأراد أن يعرف وجه الخطأ فلم يعرفه النبي - ﷺ - روى ذلك البخاري . والذي يقال فيه : إذا أخطأ أبو بكر فلن يصيب غيره ، وعزوف النبي - ﷺ - عن بيان خطئه أكبر دليل على أنه لم يرد - ﷺ - أن يكون ذلك علماً ، وهو ليس بعلم ، إنما العلم قواعد وأصول ، بها تعرف الأحكام وتستنبط ، وعليها يكون القياس ، ولا شيء في ذلك يمكن تطبيقه على الأحلام .

ثم إن الشيطان لا يريد للمسلمين خيراً ، وخيرهم أن يفسروا اليقظة لا المنام ، فقد فسر النبي - ﷺ - - باليقظة حيث عرف عدد المشركين يوم بدر من خلال ما يذبحون كل يوم :

ففي مساء يوم بدر ، أرسل - ﷺ - « علياً ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص » في نفر إلى بدر يلتبسون الخبر ، فأصابوا راوية لقريش : (إبلًا تحمل الماء) فيها « أسلم » غلام بني الحجاج ، « وأبو يسار » غلام بني سعيد بن العاص بن أمية ، واسمه : « عريض » ، فأتوا بهما رسول الله - ﷺ - وهو قائم يصلي ، فسألوهما : مَنْ أَنْتُمَا ؟ فقالا : نحن سقاة قريش . فكره أصحاب النبي - ﷺ - هذا الخبر حيث كانوا يرجون أن يكونا من العير لما في العير من الغنيمة وقلة المثونة ، ولأن شوكة قريش شديدة . فجعلوا يضربونها ، فإذا ألهمها الضرب قالوا : نحن من عير أبي سفيان ، فلما سلم النبي - ﷺ - من صلاته قال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، ثم قال :

- أخبراني : أين قريش ؟

قالا : هم وراء هذا الكثيب .

فقال : كم ينحرون كل يوم من الإبل ؟

قالا : عشرًا من الإبل يومًا ، وتسعًا يومًا .

إن الذين يسألون الله - وَجَّكَ - الفصل بينهم وبين قومهم على ما سبق ذكره من آيات الله ، وهم خريجو كليات الدعوة وأصول الدين ، أو وهم من كبار العلماء ، إنها دعاهم عدم التفكير إلى ذلك الذي لا خلاف فيه .

والشيطان أسعد ما يكون عندما يرانا نقول ما لا نفعل ، وقد وجدت أمة من الناس يقولون ذلك ، فإن سئلوا عن معناه ، تفكروا وأجابوا ، فإن قيل لهم : فلم تقولون ذلك ؟ ما زادوا على قولهم : « صحيح .. هذا خطأ » وإن أرشدت واحداً منهم إلى ذلك ، وبينت له أنه عيب ، فلا تراه يكثرث أو يهتم ، وقد عاش المسلمون زماناً يعرفون فيه الحياء عند الخطأ . كما حدث من « الحجاج بن يوسف » الذي كان يكره أن يطلع أحد على لحنه (خطئه) سأل « يحيى بن يعمر الليثي » (ت 129 هـ)

- أسمعني ألحن على المنبر ؟

فقال يحيى : نعم .

فقال الحجاج : في أي القرآن ؟

فقال يحيى : وذلك أشنع !

قال الحجاج : وما هو ؟

فقال يحيى : تقول : « قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ^١ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ »^(١) .

تقرأ « أحبُّ » بالرفع ، فأنف الحجاج أن يطلع رجل على لحنه . فنفاه إلى خراسان^(٢) . والصواب أنها « أحبُّ » لأنها خبر « كان » .

(١) التوبة : ٢٤ .

(٢) (طبقات النحويين واللغويين) ص : ٥ بتحقيق « أبي الفضل إبراهيم » ط دار المعارف سنة ١٩٧٣ .

ومن المعروف في تاريخنا : أن « سيبويه » - رحمه الله . إمام النحاة لم يكن في أول أمره نحوياً ، وإنما كان طالب حديث ، فلما أخطأ في كلمة ذات مرة ، قيل له : لحت فقال : والله لأطلبن علماً لا يلحنني فيه أحد ، وطلب النحو حتى صار إلى ما صار إليه .

واليوم يخطئ من يخطئ ، ويقال له : إن قيل أخطأت ، فلا يعبأ بذلك ، ولا يراجع ، بل ربما غضب وثار ثورة عارمة ، في وجه من بين له خطأه ، وقد شاع ذلك حتى صار الناس الضعفاء إلى حد ملحوظ ، وصارت الأخطاء هي المرتقب المنتظر ، وهي القاعدة ، الأمر الذي انتهزه أعداء هذا الدين فرصة ، وحاولوا التشكيك في صحة القرآن الكريم لغوياً ، مستشهدين ببعض الآيات التي جاءت على وجه لغوي غير مألوف ، كالعطف على موضع اسم إن ، وكالنصب على الاختصاص والمدح .

22- قراءة القرآن بالألحان

وبمناسبة القرآن الكريم الذي هو عين المناسبة ، ومحور كل حديث في هذا الدين ، رأينا المباريات التي كثر في زماننا في القرآن الكريم بطريق التغني واتباع السلام الموسيقية ، وفتوى الشيطان هنا ترمي إلى : التطريب ، وتصرف الناس عن تدبر المعاني ، والوقوف عند كتاب الله - وَجَّكَ - فأيات العذاب تثير في النفس ما تثيره آيات النعيم ؛ لأنها على الوتيرة ذاتها من ارتفاع الصوت وانخفاضه ، وتموج الهواء الخارج من حنجرة القارئ .

والأئمة جميعهم على أن التلاوة بهذه الطريقة لا تجوز ، والقرآن الكريم موسيقاه فيه وفي ترتيله ، ولا يعني حسن الصوت في التلاوة - وهو مطلوب - أن يكون القارئ مغنياً ، يخرج الألفاظ عن طبيعتها ومعانيها ، ويزيد حروفاً بسبب هذا النمط ، وبعض القراء يقف على ما لا يصح الوقوف عليه إطراباً للناس واستمتاعاً ، كما يفعل بعضهم عند تلاوة قوله تعالى : « وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ^١ لَا تَقْتُلُوهُ »^(١) . حيث يقف عند « لا » أي : « قرة عين لي ولك لا » ، فيصبح المعنى : أن موسى قرة عين امرأة

(١) القصص : ٩ .

فرعون ، وليس قرة عين فرعون ، فيطرب الناس ، وهذا ضلال ، لأن « لا » ناهية لا نافية ، وهي لما بعدها ، لا لما قبلها ، أي : لا تقتلوه .

ويمكن للقارئ أن يقف على « لا » عند انقطاع النفس وقفًا اضطراريًا ، وعليه أن يبدأ بها ؛ ليصبح المعنى ، أي : يقول : « لا تقتلوه » . ويتبع ذلك في التلاوة : اختيار القارئ آيات التلاوة المناسبة للمناسبة ، فما سمعت قارئًا يقرأ بين يدي رئيس ، أو ملك آيات التقوى ، والأمر بالعدل ، وإنما يقرأ أول سورة الفتح ، و (الله نور السموات والأرض) ، وهكذا ، وهذا لا يليق بجلال القرآن الكريم ، إنما بابه الشعر ، والمدح والخطابة .

وفي مناسبات العزاء : يقرأ القرآن ذلك القارئ على باب القص واللزق ، فقد قرأ قارئ خواتيم سورة الزمر ، وترك قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾⁽¹⁾ . وقام إليه - بعد أن فرغ من تلاوته - ولدي الأستاذ « حازم مبروك عطية » ليقول له : لقد أنسيت هذ الآية ؟ فأجابه : أدري ، ولكن لا داعي إلى أن نزرع التشاؤم في نفوس أهل الميت ! فأي تشاؤم هذا ؟ وهل كان يقرأ على والدهم الكافر ؟

أعاجيب وأساطير تحدث من قراءة القرآن الكريم في زماننا ، لم تكن موجودة في زمان «ابن الجوزي» حين كتب (تلبيس إبليس) على القراء ، فقد ذكر - رحمه الله - ما رآه في زمانه من اشتغال القراء بالقراءات الشاذة ، وتحصيلها ، وفناء العمر فيها والإقراء بها ، ومن الجمع بين القراءات فيقول : (مَلِكٌ مَالِكٌ مَلَاكٌ) وهذا يحدث في زماننا ، وهو لا يجوز ؛ لأنه إخراج للقرآن عن نظمه . وذكر قراءة القرآن بالألحان ، وقال : إن أخرجت القرآن عن حده ، صارت هذه القراءة حرامًا⁽²⁾ .

(1) الزمر : 71 .

(2) تلبيس إبليس (ص : 139 .

23- مكبرات الصوت

رحم الله «الإمام النووي» الذي ذكر في شرحه : (صحيح مسلم) أنَّ المسجد الكبير، يمكن أن يؤذن على سطحه أكثر من مؤذن لإعلام الناس ، بشرط عدم التهويش⁽¹⁾ ، والتهويش أي : التشويش اليوم صار شيئًا عاديًا مستساغًا ، اجلس ذات مرة بعد صلاة العشاء في رمضان ، واستمع إلى عشرات المساجد والزوايا من حولك ، حيث تعلو مكبرات الصوت ، فلا تكاد تسمع آية واحدة من تشويش بعض القراء على بعض ، فالأفق كله تشويش .

وليس هذا في رمضان وحده ، وإنما هو في كل يوم ، خصوصًا في صلاة الفجر ، فإن بعض الذين ينامون بالنهار لا ينامون بالليل ؛ لأنهم خرجوا إلى المعاش المبكر ، يوجهون مكبر الصوت إلى الراديو ، ومن قبل أذان الفجر بساعة ، تسمع القرآن الكريم والتواشيح وبعد ذلك الأذان ، وليس في هذا من فقه ، قال ابن الجوزي : « وقد رأينا من يقوم بالليل كثيرًا على المنارة ، فيعظ ويذكر ، ومنهم من يقرأ سورًا من القرآن بصوت مرتفع فيحرم الناس من نومهم ، ويخلط على المجتهدين قراءتهم ، وكل ذلك من المنكرات »⁽²⁾ .

وأنت إذا ناقشت هؤلاء ، صاحوا في وجهك بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير قائلين : لا إله إلا الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنه كلام الله ، أعوذ بالله ، أتحب أن تقضي ساعة أمام مسلسل أو مباريات ، وتكره سماع القرآن الكريم ؟! كلمات تؤثر في العوام . وهي ليست حجة ، وليس هذا ردًا علميًا ، ولا بيانًا شرعيًا ، فالدين نظام وشرع على أصول ، وليس خطبًا وإثارات ، للناس أذان يعلمون به دخول وقت الصلاة ، التي جعلها الله عَلَيْكُمْ كتابًا موقوتًا ، وقد بين النبي - ﷺ - للامة أوقاتها ، وقال كما روى مالك في (الموطأ) لمن سأل عن وقت صلاة الصبح ، وقد صلاها - ﷺ - بالناس يومًا في الغلس ، وفي اليوم التالي ، وقد أسفر النهار قبل طلوع الشمس ، قال :

(1) (شرح مسلم) 4 / 83 .

(2) (تلبيس إبليس) ص : 169 .

- أين السائل عن وقت الصبح ؟

فقال : أنا يا رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : « مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُهُ » . أي : من أول طلوع الفجر الصادق إلى ما قبل طلوع الشمس .

وجميع الدنيا في فقه المسلمين : على أن من صلى الفجر قبل طلوع الشمس ، فقد أدركها في وقتها ، وكان « بلال » رضي الله عنه - يؤذن بليل ، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس أن يأكلوا ويشربوا حتى يؤذن « ابن أم مكتوم » رضي الله عنه - لأنه رجل أعمى ، لا يؤذن حتى يقال له : أصبحت أصبحت .

وليس في شريعة الإسلام أن توقظ الناس من نومهم قبل الصلاة بساعة ، وليس فيها أن تهوش على متهمجد ، ولا أن تؤرق المريض ، ولا أن تحدث فيها ما ليس فيها ، وأنت ترى أن لك وجهًا .

فالذين وضعوا أحاديث : افتراءً وكذبًا كان لهم وجه ، أرادوا أن يرغب الناس في قراءة القرآن ؛ فأنشأوا أحاديث في فضل قراءة كل سورة وهم كذابون ؛ لأن الكذب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كالكذب عليه ، ومن كذب عليه متعمدًا فالنار جزاؤه ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ، ولا يجوز الافتراء عليه ، ولو كنت تهدف بذلك إلى غرض جميل .

24 - أنا لا أريد الدنيا

ومن تضليل الشيطان : أن تجد هذا الشائع على ألسنة خلق كثيرين : أنا لا أريد شيئًا من الدنيا .. أنا لا أريد مزيد مال ، أنا لا أريد إلا وجه الله - صلى الله عليه وسلم - وأول دليل على بطلان ذلك : أن الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ » ⁽¹⁾ وقال في إبراهيم - عليه السلام - : « وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » ⁽²⁾ .

(1) النساء : 32 .

(2) العنكبوت : 27 .

ونفى الرغبة في الدنيا ، إما أن يكون بصدق - وإما أن يكون بادعاء زهد ، والأول خطأ ، ينبغي إصلاحه . والثاني نفاق ، ينبغي علاجه ، فإنه لا تعارض بين طلب الدنيا والآخرة معًا ، بدليل أن أكثر دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - كان « اللَّهُمَّ ، آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

وقد ثبت في الصحيح أنه - صلى الله عليه وسلم - زار رجلًا مريضًا ، بلغ به المرض مبلغه ، حتى صار مثل الفرخ ، وبنور النبوة سألته - صلى الله عليه وسلم - :

- هل دعوت على نفسك بشيء ؟

فقال : نعم

قال - صلى الله عليه وسلم - :

- وماذا قلت ؟

فقال الرجل : قلت : اللهم ما كنت معذبي به في الآخرة ، فعجله لي في الدنيا ، فقال - صلى الله عليه وسلم - :

- هلا قلت : ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ؟ ودعا له صلى الله عليه وسلم .

ولعلي أقف عند قوله - صلى الله عليه وسلم - « هل دعوت على نفسك بشيء » ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا السؤال يكشف لنا عن بعض أسرار الدعاء على النفس والمال والولد ، وكأنه رأى أن هذا الرجل لا يصل إلى هذا الحد من الضعف إلا بسبب قوي ، أقوى من المرض نفسه والميكروب ، وقد صرنا ندعو على أنفسنا بالعمى والشلل ، وعدم القدرة على الرواح والغدو ، والقيام من المجلس ، وتربية الأبناء ، وقطيعه الصلوات ، والنفحات . فلننتبه إلى ذلك ؛ فإن أمره خطير .

25 - من تفكر تعكر

ومن فتن الشيطان : الدعوة إلى عدم التفكير في أي شيء ، يمتدح به الإنسان ، فيقال : فلان ضارب الدنيا صرمة ، مطلق الدنيا ثلاثاً ، مكبر رأسه ، لا يحمل همّ شيء ، تارك الدنيا ، والمملك للمالك ، ومن أجل ذلك صفا ذهنه ، وارتاح باله .

ومن الناس من ينشد قول القائل :

لا تدبر لك أمراً فأولو التدبير هلكى

لا تدبر لك أمراً نحن أولى بك منكاً

ومع وضوح التدبير في حياة النبي - ﷺ - وأصحابه ، وفي الهجرة : كان النظام والتدبير من أسباب النجاح ، « فعلي » - ﷺ - في الفراش يؤدي الودائع ، « وأبو بكر » - ﷺ - خير صاحب ، والراحتان معدتان قبل ، وهناك دليل الصحراء الخبير ، وهناك اختيار الغار ، والطريق وغير ذلك . ومن قبل ، كان العهد ، وكانت البيعة مع الأنصار .

وقد قال « بشر » : لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله - ﷻ - ، وقال « عمر بن عبد العزيز » : الفكر في نعم الله - ﷻ - من أفضل العباداة . وعن « ابن عباس » : ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليل بلا قلب . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما : التفكر في الخير يدعو إلى العمل به ، والندم على الشر يدعو إلى تركه . وقال الحسن : إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر ؛ حتى استنطقوا قلوبهم ، فنطقت بالحكمة .

ولولا التفكير ما ربح تاجر من تجارته⁽¹⁾ ، وما عرف كيف يستثمر ماله ، وما اهتدى عالم إلى ما وصل إليه من نتائج مبهرة . وكل ما تراه أعيننا ، وجميع ما نستعمله في

(1) (إحياء علوم الدين) 4 / 354 .

حياتنا نتاج فكر ، فلولا الفكر ما كانت طيارة ولا هاتف ولا تلفاز ، ولا محمول ، ولا غير ذلك من تقنيات علمية .

26 - هؤلاء لم ينزلوا من السماء

من قديم ، قيل لأحد العلماء : قال فلان : فقال : إن فلاناً هذا لم ينزل من السماء ، أي : إنه ليس وحياً . ومن فقه الإسلام أن يقال : قال الله ﷻ ، ثم قال رسول الله - ﷺ - ، ثم ، قال فلان . ورحم الله الإمام « مالكا » الذي عرف عنه قوله : كل إنسان يؤخذ من كلامه ، ويرد خلا رسول الله - ﷺ - .

وأنا أشهد .. أن أمة من الوعاظ في زماننا سبقوا الحاسب الآلي ، ووعت ذاكرتهم نقولاً عن « الشبلي ، والحسن البصري ، وداود ، وابن حزم » ... وغيرهم وغيرهم . فإذا جاء ذكر آية شريفة لحنوا في النطق بها .

ومن كيد الشيطان : هذا الهوس والجنون بحفظ أقوال لعلماء لا تتناهى ، وعدم الاهتمام بالمصدر الأول الأصلي لهذا الدين . لقد استمعت إلى أحد هؤلاء فيما يقرب من الساعة ، ذكر أقوالاً لأكثر من خمسين رجلاً ، منهم من أعرف ، ومنهم من لا أعرف . ولم يذكر آية واحدة ، ولا حديثاً صحيحاً .

فهل هذا من فقه الدين ؟ وفي الحديث الشريف الصحيح : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »⁽¹⁾ ، وهل الدين إلا كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله - ﷺ - ؟ !

إن الناظر في كتب الفقه يقرأ في أول كل باب وكتاب : عنوانه والدليل عليه من الكتاب والسنة ، ومن يستمع إلى هؤلاء لا يسمع آية ولا حديثاً . ومعظم النقول في الرقائق والوعظ وإسالة الدموع ، فلا علم ولا منفعة ، وإنما ذلك للوقت القيم ، مضيعة أي مضيعة !

(1) البخاري / علم / 10 .

وأى فارق بين هؤلاء ، وبين الشباب الذي تعاتبه بأنه يحفظ الأفلام والمسلسلات وتاريخ الألعاب ، ومتى كانت ؟ وأين كانت ؟ ولا يحفظ سورة من السور المحدودة الآيات ؛ لكي يصلي بها إن صلى !

27- نجوم بلا ضياء

وعلى العكس من ذلك ، تسمع الرجل يذكر إمامًا عالمًا كبيرًا ، ويمتدحه امتداحًا ، ويقول فيه الشعر ، فإن سألته عن مسألة حققها ، أو عن كتاب قرأه له ، أو عن رأي رآه ، أعياك أن تجد عنده لذلك جوابًا .

حدثني أحد الناس عن الشيخ الشعراوي - رحمه الله عليه - قال :

- كان وكان وكان .. يا سلام .. الله يرحمه إن مثل هذا الشيخ لن يجود الزمان بمثله ! وسألته :

- هل تحفظ له شيئًا ؟ هل وعيت عنه معنى جديدًا ذكره في خواطره التي تذاع ليل نهار عبر قنوات شتى ؟ فلم أجد عنده جوابًا .

فقلت له : إن مثلك مثل الذي يعرف أن في السماء نجمًا ، لكنه لم ير يومًا له ضياء ، لم يتطلع إليه . وربما قال آخر :

- كان أسلوبه سهلًا واضحًا .

وهذا يعتد به في مجال النقد بلا شك ، وهو أفضل من لا شيء .

لو أن كل مسلم حفظ شيئًا لعالم ، لصار المسلمون بقلوبهم الواعية وآذانهم الصافية : دائرة معارف عامة ، وموسوعة عملاقة ، تنتفع بها الأجيال .

28- الاستدراج عن طريق الخير

من خداع الشيطان : استدراج العبد إلى الشر عن طريق الخير ؛ فهو يفتح للعبد ألف باب من الخير ، من أجل باب واحد من الشر . والله عَلَّمَكَ يقول في أمم من المنافقين

والكافرين الذين حرض بعضهم بعضًا على الخروج لقتال المؤمنين ، بدعوى أنهم سيخرجون معهم ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ... ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

روي أن ثلاث إخوة كانت لهم أخت وحيدة ، ودقت طبول الحرب ، وكان عليهم أن يخرجوا جميعًا ، ولكن عند مَنْ يتركون أختهم ؟ ورأوا أن آمن مكان لهما يتركونها فيه ، عند راهب تفرغ للعبادة ، فمن في الناس مثله دينًا وورعًا وحفظًا للأموال والأعراض ؟

وتركوها عند الراهب الذي كان يسكن في صومعة عالية تحتها بيت ، فأنزلها في البيت ، وكان يضع لها طعامها على باب صومعته ويدخل ، وتخرج هي من البيت ، فتأتي على باب الصومعة تأخذ طعامها ، وتنزل إلى البيت .

وجاء الشيطان ، وقال للراهب : إنك لو وضعت لها طعامها على باب البيت لكان أكبر لأجرك ، خطوات تمشيها لوجه الله ، فإنها معها تكن ... امرأة ، ولعلها تفتن إن خرجت ، بأن ترى رجلًا ، أو يراها رجل وهكذا ، أو قد تلسعها حية أو عقرب ... أليس كذلك ؟

فأخذ الراهب الطعام ، ووضع أمام باب البيت ، فلما خرجت وجدت الطعام ، فأخذته ، ولم تمش خطوة واحدة ، وظل ذلك مدة .

وجاء الشيطان من جديد ، وقال له : اسمع ، ماذا لو وضعت لها الطعام ، وطرقت عليها الباب ؛ لكي تخرج فتأخذه ، حتى لا تتركه يبرد أو يقع فيه ثعبان .. إن في ذلك كبير أجر لك ، وأيضًا هي إنسان ، وفعلك هذا يدل على مزيد اهتمام منك بها .

(١) الحشر : ١٦ - ١٧ .

وفعل الراهب ، فكان يدق الباب ، فإذا فتحت انصرف إلى صومعته ، وأخذت هي طعامها ودخلت ، وظل هكذا مدة .

ثم جاءه الشيطان ، وقال له : اسمع ، ألا ترى أن غيبة إخوتها قد طالت ، وأن الصبية ظلت طوال هذه المدة بلا أنيس يؤانسها ولا جليس يسامرها ، فهلا جلست إليها تتحدث معها ؛ لتذهب الوحشة عن نفسها ، فيكون أكبر لأجرك .

فذهب بالطعام ودق الباب ، فلما خرجت دخل عليها ، وجلس يحدثها وتحديثه ، وشاركها الطعام .

وبعد فترة .. زينها في عينيه حتى تمت جريمة الزنا ، وحملت الفتاة ، وولدت طفلاً ، وجاءه الشيطان ، وقال له : لقد اقتربت عودة الرجال ، وإنهم إن رأوا ما فعلت بأختهم رجموك ، فلا سبيل أمامك سوى قتلها وولدها ودفنهما أسفل الصومعة ، فإذا جاءوك وسألوك عنها فقل : ماتت ودفنتها ، والآجال بيد الله ^{عز وجل} ، وعندئذ ييكونها ساعة ، وينتهي الأمر يا صاحبي .

وجاء إخوتها ، وسألوا الراهب عن أختهم ، فقال لهم إنها ماتت ، ودفنتها ، فوقفوا على قبرها ييكون ساعة ثم انصرفوا .

وجاءهم الشيطان ، وأخبرهم بما فعل الراهب ، وقال لهم : احفروا ، وسوف تجدونها وإلى جوارها ابنها من الراهب ، فلما أصبحوا جاءوه وحفروا ، فوجدوا جثة أختهم وإلى جوارها طفلها ، وأعدت العدة للانتقام ورجم المجرم ، وجاءه الشيطان ، وقال له : إن كفرت بالذي خلقتك ، وسجدت لي سجدتين وجدت لك حلاً ومخرجاً مما أنت فيه ، فكفر الراهب ، وسجد للشيطان ، ثم قال له :

- قد كفرت بالذي خلقتني ، وسجدت لك ، فأين الحل ؟

عندئذ ضحك الشيطان المنتصر ، وقال ما ذكره ربنا - تعالى - في آية سورة الحشر ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ⁽¹⁾ .

وهلك الراهب كافراً ، وانتقل إلى جهنم في انتظار صاحبه الشيطان . ﴿ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ ⁽²⁾ .

ومن أجل ذلك : قال الله - تعالى - بعد ذلك : ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ⁽³⁾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ⁽⁴⁾ .

فما معنى « نسوا الله » ؟ إن معناه : نسوا حدود الله ، وشرع الله ، وتعاليم الله ، واتبعوا كيد الشيطان الذي يأتي من باب ثواب الله وفضل الله وعظيم الأجر عند الله . وبهذا الاستدراج الذي يوهم به العابد الراغب في ثواب الله بأنه على حق ، وأنه إن فعل هذا كان أعظم لأجره وأكبر لثوابه .

وعلى هذا النحو قال للجار : ادخل على جارتك المطلقة أو الأرملة ، وخفف عنها المعاناة ؛ إن للجار حقاً ، وكلما كنت قريباً منها ، كان ذلك أدعى إلى إبعاد الذئاب عنها ، ولا يدري أن أول الغيث قطرة ، وأنه في شرع الله : لا يخلون رجل بامرأة أجنبية ، ولو كان على سجادة الصلاة وأن الناس غير معصومين .

وبمثل ذلك يقول له : تدخل للصلح بينها وبين زوجها ، وهل قال الله إن الأجنبي يصلح أم قال الله ﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ ⁽⁴⁾ .

(1) الحشر : 16 .

(2) الحشر : 17 .

(3) الحشر : 18 - 19 .

(4) النساء : 35 .

وهل قال الله حكماً أم ذكر حكيمين؟ وهل قال فقهاء الإسلام: إن الحكمين يجلسان مع الزوجة. بمعزل عن زوجها، أم يجلسان معها ليريا ماذا جرى بينهما، فإن وجدا فرصة للإصلاح أصلحاً، وإن وجدا الحياة مستحيلة بينهما، فرقا بينهما!

فما معنى: أن يخلو رجل بامرأة لكي يسمع شكواها، فإذا بالشيطان يملئ على لسانه فيقول لها:

- إنه لا يعرف قيمتك، وكم من إنسان معه جوهرة وهو لا يعرف قيمتها...

أعوذ بالله، فإذا به وقد دخل مصلحاً يخرج مفسداً.

وقد روى مسلم في صحيحه عن « جابر بن عبد الله » عن النبي - ﷺ - : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْسُطُ رِدَاءَهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيُرْسِلُ سَرَائِيَهُ، فَأَيُّهُمْ جَاءَهُ بِفِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ ». وبنصه ﷺ - : « فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً » يقول أحد صبيانه: لقد تركت فلاناً وقد ضرب زوجته فيقول: ما فعلت شيئاً، ويقول أحدهم: ما تركته حتى طلقها. فيقول الشيطان: اذنُ مني، أي: اقرب مني، فإنك حبيبي وقرّة عيني.

وهكذا يفعل مع الذي زنا وسرق، وقتل، وسب ولعن. فكلما كان أعظم الشياطين فتنة كان أقرب ما يكون إلى الشيطان الكبير الذي بالاستدراج يودي بالناس في المهالك.

ألا تراه يقول لزوجة شابة، إذا قال لها زوجها كلمة لا تليق:

- احذري أن تسكتي، إن لك كرامة، والله لم يخلقك أنثى لكي تهاني، وإنك إن سكت له زاد في سوء أدبه، ردي عليه. فترد، فبدل أن يعتذر لها يزداد غضبه، وينتهي الموقف إما بالفراق، وإما بالعراك الدامي الذي يكون من الصعب إصلاحه!

وإذا تراه يقول للجار الجديد:

- لا تسكت لجيرانك كما سكت مع جيرانك الأوائل حتى ركبوك، لا بد لك من أول يوم أن تريهم (العين الحمراء) حتى يعرفوا قدرك، فلا يؤذوك بعد ذلك،

فأنت تعلم طبيعة الناس، لا يصلحهم إلا هذا، إن تسكت يزعمون أنك صيد سهل، وإن أسأت ورددت الصاع صاعين، هابوك وتجنّبوك.

فإن هتف بضميره صوت يقول: إن للجار حقاً في الدين، قال له الشيطان:

- هذا عندما كان الناس ناساً، وقد تغير الزمان، فلا تكن غيباً.

وهكذا، يستدرج الشيطان الإنسان حتى يحرمه خيري الدنيا والآخرة.

29 - خروج المعتدة من بيتها

صاح بها وقال: لا خروج لك من بيتك إلا بعد أربعة أشهر وعشراً، فإن الله تعالى

يقول: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾⁽¹⁾.

ولا الذباب يرى خيالك، بكت طويلاً، وقالت: لقد خرجت لأشتري الدواء من الصيدلية التي في الشارع الذي وراءنا، لا أحد معي، وأبنائي كل في منطقة، وأنسيت بالأمس أن أسأل أحدهم أن يشتري لي الدواء.

والحق أن فقه المسلمين على: أن العدة، سواء في المطلقة أو في المتوفى عنها زوجها، تأسف على ما فات من نعمة النكاح والوطء الحلال⁽²⁾، وأنها لبراءة الرحم، وأنها للعبادة التبعية، وليست للعبادة باعتبار الأصل، بدليل أن الكتابية التي تكون زوجة لمسلم، إذا مات عنها اعتدت، وهي ليست مخاطبة بالعبادة، فالالتزام بها أمر الشرع عبادة، وأن المعتدة، الأصل في بقائها في بيتها الليل لا النهار، أي: إنها لا تبني خارج بيتها، لكنها بالنهار تخرج لقضاء حاجاتها، وقد روي أن « فريعة بنت مالك بن أبي سنان » أخت « أبي سعيد الخدري » - ﷺ - جاءت إلى رسول الله - ﷺ - بعد وفاة زوجها، تستأذنه أن

(1) البقرة: 234.

(2) (المبسوط في الفقه) 6 / 67.

تعتد في بني خدرة ، فقال لها : « امكثي في بيتك حتى تنقضي عدتك » ولم ينكر عليها خروجها للاستفتاء .

وقد اشتكت نسوة مات عنهن أزواجهن إلى « ابن مسعود » الوحشة فرخص لهن أن يتزاورن بالنهار ، ولا يبتن في غير منازلهن .

فالعدة في فقه المسلمين ليست عقوبة ، ولا حبسًا للمرأة المصابة ، وإذا كان الفقهاء قد قالوا إنها عبادة بالتبعية لا بالأصالة ، فإن في العبادات رخصًا ، وقد تكون المعتدة موظفة ، تحتاج إلى العمل ، ويحتاج العمل إليها ، فماذا تفعل في هذه المدة إن ظلت في بيتها ؟ لكن الذين لا علم لهم ، يتبعون الشيطان الذي يدخل عليهم من ألف باء للفتنة والخسائر ، والخيانة وتلبيس الدين ، والله ما جعل علينا في الدين من حرج .

وقد روى « جابر » فقال : طلقت خالتي ثلاثًا ، فخرجت تجذ نخلاً لها ، فلقيها رجل فنهاها ، ذكرت ذلك للنبي - ﷺ - فقال : « أُخْرِجِي ، فَجُذِّي نَخْلَكَ ، لَعَلَّكَ أَنْ تَتَصَدَّقِي مِنْهُ أَوْ تَفْعَلِي خَيْرًا » ، رواه النسائي وأبو داود .

وروى « مجاهد » قال : استشهد رجل يوم أحد ، فجاء نساؤه رسول الله - ﷺ - وقلن : يا رسول الله ، نستوحش بالليل ، أفنبت عند إحدانا ، فإذا أصبحنا بادرنا إلى بيوتنا ؟ فقال رسول الله - ﷺ - تحدثن عند إحداكن ، حتى إذا أردتن النوم فلتؤب كل واحدة إلى بيتها . قال « ابن قدامة » : وليس لها المبيت في غير بيتها ، ولا الخروج ليلاً إلا لضرورة⁽¹⁾ .

وتتحول المعتدة من بيت الزوجية ، إذا لم يكن نصيبها من الميراث يكفي لإقامتها كبعض حجرة مثلاً ، أو ضيق شديد ، فإن رضي الورثة أن تقيم فيه أقامت ، وإن لم يرضوا تحولت .

وكذلك .. إذا خافت على نفسها أو مالها ، وليس معها رجل ، كانت في سعة من الرحلة ؛ لأن المقام مع الخوف لا يمكن ، وفي المقام ضرر عليها في نفسها ومالها . وذلك عذر في إسقاط حق الشرع⁽¹⁾ .

30 - ثقافة القرب

يذكر التاريخ موقفاً من مواقف النفس الحرة ، التي أدركت معنى من معاني النبيل ، وكان علينا أن نفيد منه ؛ فتحن أولى به ؛ حيث إنا مسلمون ، نعرف حق الجوار ، والوفاء للزملاء والأصدقاء ، إنه موقف « أبي البخري بن هشام » يوم بدر ، الذي قتل يوم بدر مشرّكاً ، وقد جاءته فرصة الحياة والنجاة ، لأن له يدًا حفظها له النبي - ﷺ - ووصى أصحابه به ، فقال : « مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَبَا الْبُخَرِيِّ فَلَا يَقْتُلْهُ » ، فلما التقى الجمعان ، ودنا منه القتل جاءته البشري بالنجاة ؛ فقد أمر النبي - ﷺ - بعدم قتلك .

فقال : وزميلي هذا ؟

فقال القائل : لا ، فإن النبي - ﷺ - وصى بك دونه ، فقال أبو البخري :

لا يسلم ابن حرة زميله حتى يذوق الموت أو يرى سبيله

وأبى إلا أن ينجو هو وزميله ، أو يهلك هو وزميله ، وكانت الثانية . وطويت صفحة رجل كان الأمل يشير إليه بالبنان أن : مثل هذا الإنسان يرجوه الإسلام عنصراً من عناصره النبيلة ، ولينة من لبناته المتينة ؛ فإنه رجل سمح « لحكيم بن حزام » بالمرور بالطعام إلى النبي - ﷺ - ومن معه من المحاصرين في الشعب ، وسعى في نقض الصحيفة الظالمة التي كتبها قريش ، وقاطعت بها المسلمين اقتصادياً واجتماعياً .

فما الذي يدعو إلى قتله ؟ وهو بين أمرين : إما أن يسلم ، والناس معادن : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وإما أن يظل على دينه وهو غير مؤذٍ ، وهذا الدين لا يقاتل النبلاء : صناع الحياة ، وإنما يقاتل أهل البغي والفساد .

وقد قال النبي - ﷺ - في أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - ما أحد آمن عليّ بهاله ونفسه من أبي بكر ، فعمت الصحبة ونعم الفداء ، وسنظل نتلو ويتلو من بعدنا : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ (1) .

صحبة ذرّفت فيها عينا أبي بكر دمع الفرح ، وكان الفرح مسئولية ؛ حيث أعد ﷺ - راحلتين لأشرف رحلة وأنبأ غاية .

وقد باعد الشيطان بين الأقارب ، وسعى بالفساد بين كل مقترنين ، فأولاد الحرفة الواحدة يكره بعضهم بعضاً ، والعزب الذي عرف اليتيم ويدك ، أو فريق العمل تقدم وتأخرنا ، حيث بات كل زميل يكتّم خبر بحثه عن زميله ، يخاف أن يسرق الفكرة ، وصرنا نعطل طلاب الدراسات العليا ، إذا جاء أحدهم بموضوع رأى بعضنا أنه لا يصلح للبحث للنيل الرفيع لدرجتي : الماجستير أو الدكتوراه طردناه ، ولم نفكر ونحن أقدم منه عهداً بالتخصص ، وأعلم منه بما يصلح وما لا يصلح من موضوعات البحث العلمي أن نضع موضوعات شتى يحتاج إليها القسم الذي ننتمي إليه ، بحيث إذا جاء الباحث بما يصلح فيها ونعمت ، وإن لم يأت قدمنا له من مخزون موضوعاتنا ما يوفر عليه ضياع الوقت القيم ، والجهد الكبير دون طائل .

إن فساد العلاقة بين الزملاء فساد حقيقي ، لكيان العمل الذي من أجله خلقنا الله - ﷻ - ، والذين شرفوا بالعمل في جامعات عربية خارج مصر ، يشهدون بأن من الزملاء من يسعى إلى إلغاء عقد زميله ، وكأنه يرى أنهم سيضمون راتبه إلى راتبه بعد فصله ، وأنه بهذا السعي البغيض يظن - وفق فتنة الشيطان - أنه يقدم دليل إخلاصه للجامعة التي يعمل بها ، وكم من معار عاد يطوي الضلوع على ألم ، ويستمطر اللعنات على هذا الواشي الذي بذل جهداً في إلغاء عقده ، وما استراح حتى رأى تأشيرة الخروج النهائي على جواز سفر زميله .

ومن فتاوى الشيطان : شيوع قاعدة : « إن كان لك صاحب ، فلا تعامله ولا تصاهره » .

وهو ضد فقه الإسلام ؛ حيث صاهر النبي - ﷺ - أصحابه ، فتزوج بنت أبي بكر ، وبنت عمر ، وزوج ابنته عثمان بن عفان ، وزوج أختها علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فازدادت الصلة وازداد القرب .

وكأن الشيطان يسعى بنا إلى تحصيل أصدقاء وأصحاب لمجرد الصداقة والصحبة ، أي لنقضي معهم عمرنا بلا فائدة ولا خير ، ولا تحقيق منفعة ، فما معنى صحبة بلا معاملة ولا مصاهرة ، سوى أنها مضیعة للعمر في لغو الكلام والضحك وتبادل الولايم والمجاملات .

ثم لماذا نتوقع أننا سوف نخسر أصحابنا إذا عاملناهم أو صاهرناهم ؟

أهم غير أمناء ؟ فلماذا نصاحبهم وهم خائنون ؟ ألا أنهم غير طاهرين ؟ فلماذا نصاحبهم وهم إخوان خبث !

إن دويّاً في التاريخ يذكرنا بأسوأ اتباع حيث قال قائل الیامة : نحن نعلم أن « مسیلمة » كذاب ، لكنه خير من صادق قریش .

ونحن أولى باتباع الحق ، حيث إننا مسلمون ، لا نوالي أحداً هو عدو لله ، ولا نوافق ظالماً على ظلمه ، ولو كان أقرب الناس إلینا ، فلماذا آثرنا الغرب على الشرق ، وافتخرنا بما نلبس من مصانعه ، وما نشرب من مياهه ، وما نركب من سياراته ، وما نستعمل من أدواته ، وقلنا بموضوعية : إنه يقدم سلعة نفیسة بثمن رخيص دون أن نسعى لتحسين سلعتنا وترخيص ثمنها ، وكأننا متفرجون لا ننتمي إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء . نحن زبائن من عالم آخر لا يعنينا من يبيع ، وإنما تعنينا السلعة ، فإذا رأيناها جيدة ورأينا ثمنها مقبولاً ، هرعنا إليها ، واشتريناها غير ناظرين إلى نتائج ذلك ولا إلى آثاره ، لم تجتمع كلمتنا على تشجيع صناعتنا ، ولو بذلنا في ذلك ما لا زائداً حتى تتحسن وتسابق وتنافس .

31 - الغيب لله

تنبني عقيدة المسلم على : أن الغيب كله لله - ﷻ - قال الله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ⁽¹⁾ .

وقال عز وعلا - : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ⁽²⁾ .

وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ ⁽³⁾ .

لكن هوس الشياطين يتسرب إلى نفوس بعض الناس ، الذين يتطلعون إلى معرفة الغيب من قديم ، أيام الكهان وحديث حيث الأبراج ، والجزم بما يرى في المنام ، وقراءة الفنجان ، وأوراق اللعب ، والودع ، والرمل ، وهز الرأس من بعض الناس الذين يوهمون غيرهم بأنهم يتلقون عن وحي ، وسوف يخبرون عما قليل عن أحداث وبشرى ... وخلاف ذلك .

ملايين كما يقول المهتمون بالإحصاء تنفق في ذلك ، ولو أنفقت في مشروعات نافعة ، لكننا مستقيمين على طريقة ديننا . بل إن من الناس من يقول : أشعر بتنميلة في رجلي اليسرى ، أو في يدي اليمنى ، وهذا معناه : أن كذا وكذا سوف يحصل .

(1) الأنعام : 59 .

(2) الأعراف : 188 .

(3) النمل : 65 .

والصور متعددة كثيرة في هذا المجال ، وكلها من الشيطان ، الذي بلغ منتهى سعيه أن يضل الناس عن سبيل الله ، وأن يرسمها معوجة حتى يراها الناس في زعمهم مستقيمة ، فإن رأوها ذات يوم معوجة أحبها على عوجها ، وابتغوها دائماً معوجة .

إن تسليم المسلم الأمر لله - ﷻ - فيه دليل على صدق إيمانه ، وصحة عقيدته ، وراحة باله ؛ لأن أمره ، وأمر كل شيء موكل إلى الله ﷻ ، وهو سبحانه وتعالى بعباده رءوف رحيم ، وهو وحده مالك الملك ، وهو وحده على كل شيء قدير ، لا يملك له أحد إلا الله نفعاً ولا ضرراً ، ولا رزقاً ، ولا حياة ولا نشوراً .

والتطلع إلى غيب يأتي بالخير هو منهج المسلمين ؛ لأن الله واسع الفضل والكرم ، وقد قال عز من قائل : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ ⁽¹⁾ .

فمن عنده خزائن كل شيء ، وينزل كل شيء بقدر معلوم ، وهو الرحمن الرحيم تتعلق به كل سبل الرجاء ، والقلوب المؤمنة على يقين بأن : رحمة الله قريب من المحسنين .

32 - ليس فيها إجماع

عدم اتفاق الكلمة على وجه واحد فيه متسع ، ولكل عالم من العلماء وجهة نظره فيما رآه ، ويأتي من بعد هؤلاء العلماء آخرون ، يختارون منهم من يختار هذا الرأي ، ومنهم من يختار غيره ، وقد يبدو لفريق ثالث ما لم يبد لسابقه ، وذلك واقع الفقه الإسلامي ، ولكن الخطر في وسوسة الشيطان ، التي توسوس للإنسان إجماعاً مزعوماً ، والحق خلافه ، وهو يرمي بذلك إلى وجه ضعيف أو مرجوح يكون له غرض هو فتنة الناس .

(1) الإسراء : 100 .

ومثال ذلك : زعم كثير من الناس أن قول الله - تعالى - : ﴿ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (1) .

معني به : الزوجات والأزواج ، فالزوجة الخبيثة للزوج الخبيث ، والخبيث من الرجال للخبيثة من النساء ، والطيبة من النساء للطيب من الرجال ، والطيب من الرجال للطيبة من النساء .

ومن يراجع كتب العلم يجد أن هذا لا إجماع فيه ، وأن المعنى : الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس : رجالاً ونساءً من قبيل التغليب ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ (2) .

والدليل من القرآن الكريم على : أن أطيّب الناس يكون زوجاً لأخبت امرأة ، وأن أطيّب النساء تكون زوجاً كذلك لأخبت رجل قول الله - وَجَّكَ - : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ ﴿١٦﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴾ (3) .

(1) النور : 26 .

(2) الإسراء : 84 .

(3) التحريم : 10 - 11 .

فنوح ولوط - عليهما السلام - نبيان طيبان معصومان ، وزوجة كل منهما خبيثة كافرة ، وامرأة فرعون مؤمنة طيبة ، وزوجها أخبت من عرفت البشرية قال : أنا ربكم الأعلى . فأبي دليل أكبر من هذا على أن الخبيثة من النساء يمكن أن تكون زوجة طيب ، وأن الطيبة من النساء يمكن أن تكون زوجة خبيث !

لقد كان من نتائج هذا الإصرار على المعنى الشائع : أن زوجة شابة نشأت في بيت والديها على الفضائل ومكارم الأخلاق ، وتزوجت من زعمته رجلاً ، فوجدته سكيراً ، لا ينام إلا مغموراً ، ولا يشرب الماء إذا تناول فطوره ، وإنما يصبح مغموراً كما أمسى ، ولا يركع لله ركعة . فلما قالت له : اتق الله ، دعاها إلى الكأس ، فلما قالت له : أعوذ بالله ، قال لها : هل تظنين أنك طيبة ، وأنت مقبولة عند الله ، إنك خبيثة مثلي ، ألا تحفظين قول الله - تعالى « الخبيثات للخبيثين » شككها في عبادتها ، وسألت بعض المشايخ عن تفسير الآية فقال : نعم .

قالت : إذا .. أنا لست طيبة ، والدليل : أن الله رزقني من هو مثلي ، وهات يا كأس .. وهات يا شرب ، وخلعت غطاء رأسها ، ومشت عارية الذراعين ، وعرفت بها الباربات في الفنادق كما عرفت زوجها وفتحت باب بيتها تترنج ، وتتمايل ، وحين صحا ضميرها يوماً ، وقالت لزوجها : أشعر بأن حياتنا غير طيبة ، لا شك أن تفسيرك كان غير صحيح ، فوضع يده على كتفها وقال : قد يتوب الله علينا ذات يوم ، ونصبح طيباً وطيبة ، وخادعها للمرة الثانية فقالت : على رأيك .. هات الكأس هات ...

وتلك أخرى أصرت على الطلاق ؛ لأن زوجها لا يمكن أن يكون زوجها ؛ لسوء خلقه وحسن خلقها ، وبدل أن تجاهد في إصلاحه تركته مثلما انخرطت معه الأولى .

وبهذا .. يرمي الشيطان إلى نتائج غير طيب ، ومن المسلم به عند جميع العلماء : أن المؤمن يخدع ، فلا يظن أنه ساعة يخدع أنه غير مؤمن ، وأنه غير طيب .

33 - الانشغال بعلامات القبول

من ضعف الفهم : أن يفكر العبد في علامات لقبول عمله ، كثر هذا السؤال في هذا الزمان . والفقه الإسلامي : أن يسأل العبد ماذا يعمل ؟ وكيف يعمل ، ينشغل بعلامات صحة العمل من صلاة لا تقبل بغير طهور ، كما في حديث ابن عمر الذي رواه مسلم .

ومن خلاله ، نعلم أن شرط القبول : الطهارة ، وصحة الأداء من الوقوف على مكان طاهر . وستر العورة بلباس طاهر ، واستقبال القبلة ، والعلم بدخول وقت الصلاة . ومن وجع القلب : أن ترى أناساً يجتهدون في إثبات علامات للقبول ، كأنهم يعملون تحت شعار : « ما يطلبه المستمعون » فلما دهم التلفاز الراديو صار العنوان : « ما يطلبه المشاهدون » فلما كثر هذا السؤال صار العنوان : ما يطلبه المسلمون .

إن جميع كتب الفقه تمضي على سنة العلم من : وضع الحد الذي هو تعريف للموضوع ، وإخراج محترزات التعريف ، وحكمه الشرعي ، ودليله ، وأركانه ، وسننه .

وهكذا .. ينبغي أن يكون الفقه ، فلم نر أحداً سأل كيف أعلم أن الله قبل عملي ؟ وإن صح ذلك قبل نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ ﴾⁽¹⁾ . كان له وجه .

أما وقد صرنا نقرأ القرآن ، ونختمه مرات ، خصوصاً في شهر رمضان . فأصبح الذي يسأل هذا السؤال ، لا يعي ما يتلو من كتاب ربه وقد قال الله - ﷻ - : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ ﴾⁽²⁾ .

فكن محسناً ، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وكن تقياً ، فالله - ﷻ - يتقبل من المتقين . ولا تنشغل بغير الأمور التي يصح بها العمل ، وإذا دعوت الله - ﷻ - فكن على يقين بأن الله - تعالى - سميع قريب مجيب .

(1) الكهف : 30 .

(2) البقرة : 255 .

إن هدف الشيطان من ذلك : أن يسعى الناس إلى الحس ، وأن يلتمسوا الدجل من كل طريق ، إنه يريد من الناس أن يناموا لكي يروا شيئاً في منامهم ، يقول لهم : إن الله تقبل منكم ، وهكذا مثلما أمرهم أن يسدوا طريق جسر السويس ؛ ليشاهدوا لفظ الجلالة الذي كتب فجأة على متن شجرة ، حفر حروفه عابث فقامت الدنيا ، وشكلت لجنة علمية ، وصاحت البرامج ، وكثرت الأقوال ، وهات يا باطل ، ولفظ الجلالة في المصحف ، ولا يشق على راغب أن يراه ، وعليه أن يحسن رؤيته ، فهو مبتدأ مثلاً والمبتدأ يطلب خبراً ، والجملة من المبتدأ والخبر ذات معنى يحسن السكوت عليه من الناحية النحوية ، أي يحسن أن يسكت السامع فلا يطلب مزيد كلام ؛ ليتضح له المعنى ، وإنما عليه أن يعمل وفق ما علم ، وأن يتحرك في ضوء ما فهم .

وحين يطالع العبد قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ ﴾⁽¹⁾ . يدرك أن الله - ﷻ - حي لا يموت ، وأنه قيوم السماوات والأرض ، أي : تقوم السماوات والأرض بأمره ، فلا يتوكل إلا عليه ، ولا يتخذ من دونه ولياً ولا نصيراً ، ولا يثق إلا به .
وحين يطالع قوله - تعالى - : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾⁽²⁾ . يعلم أنه لا ينجي من الكروب إلا الله - ﷻ - فلا يلجأ إلى دجال ، ولا إلى مشعوذ ، وعليه أن يدعو ربه وأن يأخذ بكل سبب أمكنه الأخذ به .

34 - قننة الاستخارة

حديث الاستخارة حديث صحيح ، وهي : دعاء يستحب أن يكون إثر ركعتين في غير الفريضة ، وهو من الأدب مع الله - ﷻ - حيث إن العبد الذي درس موضوعه ، واطمأن إلى نتائجه ، لا يغتر بما وصل إليه عقله ، ولا إلى ما انتهى إليه بحثه ، فالله يعلم ونحن لا نعلم وهو سبحانه وتعالى علام الغيوب :

(1) المائدة : 27 .

(2) الأنعام : 64 .

اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَعَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَقَرِّبْهُ مِنِّي، وَقَرِّبْنِي مِنْهُ. وَإِنْ كَانَ شَرًّا لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ.

وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ، وَيَفْعَلُ مَا رَأَى خَيْرًا بِعَقْلِهِ: فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَرٌّ لَهُ بَاعَدَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ الشَّرِّ (1).

وقد أَلَفَ الشيطان فتوى حول الاستخارة، لم يرد بها نص من كتاب ولا سنة ولا إجماع، وخلاصة فتنة الشيطان في الاستخارة: أنه أُوْهِمَ الناس أنهم لا بد أن يروا منامًا بعد الاستخارة يرون فيه النتيجة، إنها المشكلة نفسها والهدف نفسه، صرف الناس عن الجادة واليقظة، فالذي صلى ركعتين، ودعا بهذا الدعاء، ونام، ولم ير شيئًا أعاد الصلاة والدعاء، وهكذا يظل يعيد ويدعو وينام وما زال مَنْ وراءه ينتظرون.

حدثني شاب فقال: إنه خطب فتاة متدينة، فقالت له: لا بد أن (أعمل) استخارة، هكذا بلفظ أعمل، فقال: على بركة الله، ومتى أتصل بك يا عمي؟

يخاطب أباه - فقال أبوها:

- والله يا بني، إنها موسوسة (حبة) ما رأيك يا فلانة، بعد أسبوع!؟

هزت رأسها بالموافقة، واتصل الشاب بعد أسبوع، وكان ملتزمًا كالنظام الناس في زمان الالتزام، لكن أباه قال له: أرجوك، أمهلنا أسبوعًا آخر؛ لأنها لم تر شيئًا، وتكررت الأسابيع، وطلبت الفتاة من أحد الشيوخ أن ينوب عنها في الاستخارة، لعل الله يريه هو شيئًا، فهو في زعمها أصلح منها وأقرب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

والعجيب: أن الشيخ وافق على الإنابة، بل إنه دعا امرأته أن تصلي لها، ويا ليتهم كلهم صلوا عليها، لكن الجميل أن أحدًا لم ير شيئًا، ولم يُرَ عينيه ما لم تريا، ويدعي منامًا،

وقد أفتت امرأة الشيخ فتوى شيطانية، ظاهرها جميل، لكنها غير صحيحة، حيث قالت: قل لهذه الفتاة أنك رأيت في منامك خيرًا لها، حتى لا يضيع منها ذلك الشاب المحترم، الموظف الذي عنده منزل، وأثاث، وسيارة، وابن ناس محترمين. فأبى الشيخ -والحمد لله- على تلك النعمة، وضاع العريس في زمان تشتت في فيه كثير من الأسر أن يزورهم مثله خاطبًا ابتتهم.

إن فقه المسلمين على: أن الاستخارة سنة، وأن على المسلم أن لا ينتظر بعدها رؤيا ولا غير رؤيا. ومن ذلك: ادعاء الشيطان أن المستخير يفعل ما يرتاح إليه قلبه، والقلوب - كما هو معروف - ما سميت قلوبًا إلا لتقلبها، وعمل المسلم لا يقوم على منام ولا على إحساس قلبي، فهذا تحريف، إنما يقوم على الدراسة والبحث والأصول المرعية.

35- فتنة الكافرين

في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1). دعاء يجب التنبيه إليه، والوقوف عند أسراره، وذلك لكي ندرك ما وراءه من معنى، لطالما غاب عنا معشر المسلمين بسبب كيد الشيطان، فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف وتخلف، فمعنى الآية: اللهم لا تجعل الكافرين يظهرين علينا، فيظنون أنهم خير منا، وأنهم على حق، وأننا على باطل.

وبما أن الدعاء في الإسلام ملتبس بالعمل، فمقتضى هذا الدعاء أن نعمل وأن نجتهد، وأن نسبق غيرنا في جميع الميادين، فينظر إلينا غيرنا ويقولون: إن هؤلاء على حق، وبعد ذلك: من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولكن الذي حدث: أن الشيطان أفتى لذوي العقول الضعيفة من المؤمنين فتاوى ظاهرها الحق، وباطنها منتهى الباطل من حيث قال لنا:

- توكلوا على الله، فلا داعي إلى العمل.
- وكل بقدر، فما كان لك سوف يأتيك.

• والدنيا ملعونة ، وطالبها مذموم ، والعبرة بالآخرة .

• وبحسب ابن آدم لقمة خبز وشربة ماء ، وكساء للشتاء وكساء للصيف .

• والمال ملعون ، يجعل الأخ يقتل أخاه .

• والزوجة الواعية هي التي تنتف ريش زوجها ، كيلا يتزوج عليها .

• والرزق الخفيف يريح صاحبه ، وانظروا إلى الفقير ينام قرير العين ، لأن معه ما لا قليلاً ،

لكن الغني يقضي الليل كله في هم العد ، والحساب ، وما ربح ؟ وما خسر ؟

• والعلاج الحقيقي هو العلاج بالقرآن الكريم ، فلا داعي إلى الطب وما تقتضيه من

بحوث ودراسات .

• وخذوهم فقراء يغنيكم الله .

• والغنى غنى النفس .

• والقناعة كنز لا يفنى .

• والكفن ليس له جيوب .

• والدار الحق هي الدار الآخرة ، فلنرسل أمتعتنا إلى هناك ، ولدينا كتب في الزهد ،

والإعراض عن الدنيا ربما كان هدف مؤلفيها التحذير من فتنة الحياة الدنيا ، لكن الأمر

تحول إلى قاعدة ومنهج حياة لدى كثير من الناس .

والموازنة بين الدنيا والآخرة منهج الإسلام ، وعليها فقه علمائه ، وقد كان في

الصحابة أغنياء كعثمان وعبد الرحمن بن عوف ، ومن قبل كان أبو بكر ... وغيرهم -

رضي الله عنهم - ، وهم سادة الناس بعد رسول الله - ﷺ - في الدين . وحب الآخرة .

فمن أنقذ الناس من ذل الرق ، ومن جهز جيش العسرة ، ومن أنفق على الفقراء

والمساكين ، إلا الأغنياء . ثم إن التوكل على الله - ﷻ - لا يتنافى والأخذ بالأسباب ،

وهؤلاء الذين عملوا ، واجتهدوا وربحوا ، كانوا متوكلين بلا شك .

وقد أمر النبي - ﷺ - بالتداوي ، فإن الله تعالى - مَا أَنزَلَ دَاءً إِلَّا أَنزَلَ مَعَهُ دَوَاءً (١) ،

وقد أمر - ﷺ - قومًا أن يستدعوا طبيبًا لمريض عندهم ، فقالوا : وهل يغني الطبيب

يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، وأعادوا عليه السؤال فأعاد - ﷺ - الجواب نفسه .

وكان « مُعْقِب » - ﷺ - مريضًا بمرض جلدي ، فلما قدم رجلان من اليمن

سألها عمر - ﷺ -

- أعندكما من طب ؟

فقالا : نعم .

فلما نظرا إليه قالا : يا أمير المؤمنين ، لا نستطيع علاجه مما هو فيه ، ولكننا نوقف

انتشاره ؛ فقال عمر : عافية عظيمة ، وأمرنا بجمع نوع من النبات في المدينة ودلكا به جلد

معقيب - ﷺ - حتى تمخطه ، فوقف المرض عند الحد الذي وصل إليه .

ولو أن رجلاً مسلماً بدأ من حيث انتهى الطبيبان اليمنيان ، فاكتشف علاجاً قاضياً

على المرض تماماً ، لكان مجاهداً في سبيل الله ، باذلاً جهده في رضاه ، لكن فتوى الشياطين

تنطق بأن الجهاد طبول حرب وميدان مبارزة ، ولو وقف الناس عند السيف والخنجر

والعصا لهلكوا ؛ فقد تغيرت وسائل القتال ، ولا بد من معرفة ذلك ، ولا بد من السبق ،

لكي يرى منا غيرنا عند اللزوم ما لا يتوقعون .

إن العالم اليوم ينظر إلى المسلمين نظرة دونية ؛ لأن مناط التقدير مرجعه إلى أحوال

الناس الاقتصادية والعلمية ، ونحن - على ما لا يخفى على أحد - في مؤخرة الأمم . فأين

قولنا : « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » هذا الدعاء بالقول ، فأين العمل الذي

يعين على إجابة الدعاء ؟

إِنْ نَوْحًا - ﷺ - حين دعا الله - ﷻ - فقال : إني مغلوب فانتصر ، قال الله - ﷻ - ﴿ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرَ ۖ فَجَرَأَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۖ 》⁽¹⁾ .

كان قد أعد من قبل السفينة التي حملة الله تعالى عليها ، ويجب علينا أن نعي هذا الدرس القرآني ، بأن نعد الأسباب ونحن ندعو الله - ﷻ - ، أما أن يتحول الدعاء إلى إطلاق ألفاظ دون عمل ، فهذا ليس من فقه الإسلام .

والقرآن الكريم يعلمنا في سورة الحديد أن الذين كفروا يقال لهم يوم القيامة : ﴿ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۖ 》⁽²⁾ . والغرور بفتح العين : الشيطان ، والعلاقة بين الشيطان وبين الأمانى علاقة وثيقة ، فمعظم الأمانى من نسج الشيطان والنفس والأمانى بارقة نور حيث لا مشكاة ، وضوء ينبعث من الوهم لا من مصدر للضياء ، بئس لا يملك ملياً ، ويدعي أنه سوف يشتري المدن ، والحدائق إنما هو مخدر ، واقع تحت تأثير المخدر الزائد الذاهب به إلى الهلاك .

أن يقول طالب علم : سوف أحصل على تقدير ممتاز وهو الذي لا يفتح كتاباً ، ولا يراجع درساً ، إنما هو صاحب أمانٍ كاذبة . فإن قال له والداه : بإذن الله يا حبيبي ، فهما مثله في الضلال . أما إذا قال له ، أو قال له أحدهما : كيف ذلك ؟ وأنت مهممل مقصر ، ومثلك لا ينجح أبداً .

(1) القمر : 11 - 14 .

(2) الحديد : 14 .

لقد لاحظت بعض الأئمة في دعاء الجمعة ، يقولون فوق المنابر قبيل الامتحانات : اللهم نجح أبناءنا . وسمعت حرارة (آمين) من المصلين . فقلت : هكذا على الإطلاق ، أليس من أبنائنا من أهمل ، ولم يقرأ ، فكيف ندعو الله له بالنجاح ؟!

وطلبت إليهم أن يقولوا : اللهم نجح المجتهدين من أبنائنا ، فهذا هو الصواب ، وهو المستقيم على فقه المسلمين .

فإن المهملين من الأبناء لن ينجحوا إلا عن طريق الغش ، فكيف نسأل الله أن يتمكن المهمل من الغش !

وكذلك لن ينجحوا إلا إذا كتبوا في أوراق الإجابة علماً صحيحاً ، وهو إن لم يتحقق عن طريق الغش تحقق عن طريق الوحي ، ولا وحي ، فكيف ندعو الله بالمحال ؟ وهذا عين الاعتداء في الدعاء .

إن امرأة « سعد بن الربيع » (شهيد أحد) جاءت النبي - ﷺ - وقالت له : إن عم بناقي قد أخذ ميراث سعد ، وهن بنات ، ووالله لن يتزوجن إلا إذا كان لهن مال .

واستدعى النبي - ﷺ - عمهن ، وقد نزل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ 》⁽¹⁾ .

36 - الالتزام بتغطية الرأس

قال لي : لقد تزوجتها حين رأيتها محجبة ، وقلت : ملتزمة ، فإذا بها تفرق بين إخوتي ، ولا تتقي الله في ، خربت بيتي ، وبعبارة موجزة : وجدتها « شعنونة » .

وقالت : أنا من يومي التزمت : فعلت كذا وكذا ، فقلت ما معنى التزمت ؟ فقالت : من يومي لبست الحجاب . وهذا هو تضليل الشيطان ؛ لأن فقه المسلمين أن الالتزام : التزام بشرع الله - ﷻ - ، جملة وتفصيلاً ومنه : ستر العورة .

(1) النساء : 11 .

إنّ ستر العورة ألف باء في كتاب معتمد من كتب الفقه، درسناه في الأزهر الشريف في باب الطهارة، دون إحداث غارة، وعورة الرجل ما بين سرتة وركبته، وجميع بدن الحرة عورة ما عدا وجهها وكفيها، وقلبنا الصفحة ودرسنا بقية الأبواب.

لم تكن هناك معركة في الحجاب الذي هو الحصن الحصين العازل بين شيئين كما جاء في آية الأعراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾⁽¹⁾. ولا في النقاب، ولا في ثورة هنا أو هناك، وكنا طلاباً مهرة في حفظ المتون والشروح وفهمها والحواشي، وكان أصعب أبواب الفقه: باب الميراث، من يجب مَنْ؟ ومن يرث، ومن لا يرث؟ وما نصيب كل؟ وكيف نصحح المسألة؟ وما العدل؟ وما الرد؟

إن كيد الشيطان قد طغى على ذلك كله، وانحصر الآن في الحجاب والنقاب والختان، وما زال فقه المسلمين ينادي من أعماقه: أين الاجتهاد في زمان التحدي، وكيف هنا في أعين غيرنا؛ لأننا بعد أن سَبَقْنَا سَبِقًا، وبعد أن كنا أساتذة الدنيا ومنارتها، صرنا نستورد سجاجدات الصلاة والمسابع وفوانيس رمضان، كيف صنع غيرنا المنبه الذي يؤذن مع أنه غير مؤمن بالأذان، ولكنه يربح من ورائه، إن هؤلاء علموا أن الربح متى توافر من وراء الأذان، فسوف يكون نعم الأذان لهم، أي: أن أذانهم الدولار واليورو، وما زلنا واقفين (محللك سر) فإلى متى؟ وإلى متى سنظل نتعلق بالهوامش، تاركين الصلب والمتون!

إن الالتزام يعني: التحلي بمكارم الأخلاق والتخلق بأخلاق الإسلام الحنيف، الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. إن الفقه الإسلامي من معالمه وأصوله وأساسياته: الاهتمام بالأركان، وفي كتاب الله - ﷻ - درس عظيم اسمه: المخصوص بالذكر، كالصلاة تذكر مع الإيمان وهي منه، وكذلك الزكاة، وذلك لبيان أهميتها.

فهلا تعلمنا هذا الدرس؟ فحينما نذكر الالتزام، نذكر معه صلة الرحم، وحسن الجوار.

(1) الأعراف: 46.

37 - طلب الحق بين الحق والهوى

من خلال سلوكيات الناس، ندرك ما وراء ذلك من فقه إسلامي أو كيد شيطاني، وخلاصة هذه الفكرة: أنك ترى الناس الذين يطالبون بحقوقهم، إنما يطالبون به حال الغضب، وكأنه وسيلة من وسائل التعبير عن السخط، ووسيلة من وسائل الانتقام.

فإذا رضوا تنازلوا عن حقوقهم، لا عطفًا على الغير ولا منًا عليه، ولا رحمة به، وإنما لأنهم يرونه غير معتد عليهم، كالذي فارق زوجته؛ لأنه لا ينجب، وهي ترغب في الإنجاب، فتقول ويقول أهلها: لا نفقة، ولا متعة ولا مؤخر صداق، فما ذنب الرجل؟ إنما ذلك كله نطلبه لو أنه طلقها وهي غير راغبة ظلمًا وعدوانًا، عندئذ نخرب بيته وبيت أهله.

وإجماع علماء المسلمين على أن المرأة تستحق جميع صداقها بمجرد الدخول عليها، سواء في ذلك السليمة والمجنونة والمعيبة، وإنما ترد المرأة إلى الرجل ما أخذته منه إذا رغبت في الخلع، وخلعت نفسها منه، ومن الفقهاء من قال: ترد له وزيادة، ومنهم من أبى الزيادة.

ومن ذلك أيضًا: الخسارة التي تكون على البائع من قبل المشتري، الذي تعرض عليه السلعة، يقول:

- أنا لا أريدها، ولكنني أردت مساعدتك.

والحق أنك إذا لم تردها فإن غيرك يريدها، وليس استغناؤك عنها مسوغًا لشرائها بالبخس.

وكذلك البائع الذي يرفع سلعته إذا كان في غنى عن بيعها. يقول: «أنا أبيع ببيع غناوة» فهل استغناؤه عن ثمن سلعته مسوغ كذلك لرفع سعرها؟

وكذلك هذا الحوار: رجل يقول لرجل:

- والله ما كنت أريد منك شيئًا لو أحسنت، وكنت مؤدبًا.

يقول لمن آذاه في شيء ، مع أن قاعدة الفقه الإسلامي (من أفسد شيئاً فعليه إصلاحه وإعادته كما كان) وقصة جريج التي هي دليل العلماء على ذلك ، تقول : بأنهم أرادوا أن يعيدوا له صومعة : لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، لكنه قال لهم : أعيدوها كما كانت ، أي من لبن .

إن الفقه الإسلامي يقوم على العدل في الرضا والغضب ، وكيد الشيطان مبني على المغالاة والشطط عند الغضب والتنازل عن الحقوق عند الرضا ، ولو أدى هذا التنازل إلى أن يسأل الناس بعد ذلك !

38 - شرط السماح

سمعتها بأذني وهي تقول : لماذا تفعل هذا ؟ ألم تسمح نفسك ؟ أعوذ بالله ، لا أريد منك شيئاً . كانت بائعة ، مسكينة مجتهدة ، جاءها زبون ، ويبدو أنه وقف طويلاً على باب دكانها ، فلما فرغت وناولته حاجته ، دفع إليها ثمنها وهو غضبان ، فقالت ما قالت ، وقد تعكر صفوها ، وظنت أن هذا المبلغ سوف يذهب البركة من عيشها كله ، ثم قالت لابتنتها : - اعلمي .. أن الزبون إذا لم تسمح نفسه بالمال الذي يعطيك ، فهذا مال سُحت ، ولا خير فيه .

نقل الشيطان المسألة من بابها الذي بينه النبي - ﷺ - في خطبة الوداع وهو : لا يحل مال امرئ مسلم بغير طيب نفس منه ، أي : لا يجوز لإنسان أن يعتدي على مال غيره ، بالغضب . نقل الشيطان ذلك إلى باب البيع والشراء ليزيدنا خسارة وجهلاً .

ما للسماح والحق ! سمح المشتري أو لم يسمح ، المهم يا هذه أنك غير ظالمة وغير مغالية ، فلو فرضنا أن هذا الزبون اشترى بضاعة وهو يعلم ما البضاعة ؟ رآها ، وتأكدت له جودتها ، ودفع ثمنها وهو ساخط فلا يعينك سخطه ، وإن كان الرضا مطلوباً ومرغوباً في كل الأمور .

كذلك .. رأيت مشترياً يهدد بائع خضر ، حين دفع له ثمن كيلو بطاطس بجنيهين ونصف قال له :

- ألا ترضى بجنيهين !

قال البائع : لا

قال : كل الدنيا تبيعها بجنيهين .

قال : اشتر حيث شئت .

قال : خذ ، وأنا غير مسامح .

وأخذ حبات البطاطس ، ودفع الجنيهين ونصف الجنيه ، وانصرف . وكان بائع الخضر معلقاً موراً على باب دكانه ، وبعد أن انصرف صاحب البطاطس ، جاءت طفلة تريد موراً ، فقام ليقطع لها الموز ، فجرحته يده ، فوقف وقال :

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن هذا بسبب ذلك الرجل الذي لم يسمح في ثمن البطاطس .

هذا من الموضوعات التي تعرف بالاستقراء ، وغيرها كثير ، وما يقال للبائع إلا ما قد قيل للبائعة (عنه ما سامح يا هذا) لك أن تبيع سلعتك بما ترى ، دون مبالغة ، ولقد أقسم البائع أن أحداً لا يبيع بجنيهين ، بل من البائعين من يبيع بثلاثة ، فما عليك إن لم تكن ظالماً ولا محتكراً ، السوق تعجُّ بالباعة وكذا بالزبائن ، والثلث معلق على كل صنف ، وأنت لم تضع يدك في جيب الرجل وتسرق ماله ، ولم تضربه - بلغة السوق - على يده ، فكونه يسامح أو لا يسامح لا يفسد البيع ، ولا يسبب خسارة لك ولا جرحاً في يدك ، أنت فقط كنت متوتر الأعصاب من أثر الموقف ، وكنت متعجلاً ، وكنت غير محتاط ، وهذا سبب جرحك ، ولا صلة له بسماحة نفس الزبون ولا غيره !

39 - غياب العلم بالعلة

مهم جداً في فقه المسلمين : العلم بالعلة ، ومن هذا الباب ما ذكره « ابن قدامة » في علة تحريم وصل شعر المرأة بشعر ، حيث ذكر لذلك علتين :

الأولى : التدليس .

والثانية : استعمال ما هو مختلف في نجاسته .

وقال : وغير ذلك لا يحرم لعدم هذه المعاني فيها ، وحصول المصلحة من تحسين المرأة لزوجها من غير مضرة ⁽¹⁾ .

وجاء في شرح : (سنن النسائي) « للسيوطي » : وروي عن عائشة ، أنها قالت : ليست الواصلة التي يعنون ، ولا بأس أن تعرى المرأة عن الشعر ، فتصل قرناً من قرونها بصوف أسود ، وإنما الواصلة التي تكون بغياً في شببتها ، فإذا أسنت وصلتها بالقيادة ⁽²⁾ .

ولعل مرادها - رضي الله عنها - هو الأساس لما ذكره « الواقدي » من إباحة تزوين الزوجة لزوجها ، حيث لا تدليس ، وحيث كان ما تصل به طاهراً .

ومن فتاوى الشيطان : أن تضرب بالنص في وجوه الناس ، دون فهم أو تدبر ، فينتج عن ذلك اللبس والخلط ، وتترك الزوجة ما يسر زوجها في الوقت الذي يجد فيه مراحاً وبراحاً للزينة الحرام عليه رؤيتها .

تقول إحدى الزوجات :

- إن زوجي يقول لي : هل تحسبين نفسك امرأة ، إنك شيء ، ولست امرأة ، انظري إلى النساء على الشاشة ، أو انزلي الشارع ، وأنت تعرفين نفسك ما تكونين ؟

وهل يرضى هذا الزوج أن تنزل امرأته من بيته متبرجة تبرج الجاهلية الأولى ، عارضة نفسها على الأعين المفتوحة ، وهي في أبهى منظر ، فإذا عادت إلى بيتها : واحدة الأمان والجمال خلعت كل جميل ، وتخلصت من كل لون . وبدت كالغيبية .

إن فقه المسلمين ينادي بأن تتزين الزوجة لنفسها ، فإن خرجت خرجت تلفة ، أي : بدون زينة ومبالغة .

(1) (المغني) 1 / 110 .

(2) (سنن النسائي) 6 / 150 ، 151 .

وفتوى الشيطان على عكس ذلك ، إنه بنى قاعدته على أن الشارع أولى بالزينة والأناقة والשיاقة ، وأن البيت على عكس ذلك متضادان ، بينهما فرق كبير ، من فعل الأول فقد أَرْضَى الله تعالى ومن فعل الثاني فقد أغضب الله تعالى . وأَرْضَى الشيطان الرجيم .

40 - مفهوم الظن

الظن سبيل الشيطان إلى الإفساد ، واليقين سبيل الفقه الإسلامي إلى الإصلاح . من رأى امرأة مع رجل فهم وفق إملاء الشيطان أنها من البغاء وأهله ، وعلاج ذلك : عدم الظن والتعاون على دحض الشيطان وسبله ، بأن يدفع المظنون به الظن .

روى البخاري في (الأدب المفرد) عن أنس قال : بينما النبي - ﷺ - مع امرأة من نسائه إذ مرّ به رجل ، فدعاه النبي - ﷺ - فقال : « يَا فُلَانُ ، هَذِهِ زَوْجَتِي فُلَانَةٌ ، قال : مَنْ كُنْتَ أَظُنُّ بِهِ ، فلم أكن أَظُنُّ بك ، قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ جَرَى الدَّمِ » ⁽¹⁾ .

وجريان الشيطان مجرى الدم ليس معناه أنه داخل الدم ، وأنه يسكن جسد ابن آدم ، كما يظن بعض الناس الذين اتخذوا ذلك تجارة ولعباً : أخرج من ظفريه ، لا ، سأخرج من عينيه .

- أخرج يا عدو الله ، أخرج ، وإلا أحرقتك .

ماذا ؟ ألك مطالب ؟ ماذا تريد ؟

- أريد ديكاً أحمر ، ودكر بط أسود (بلدي) .

والناس ينظرون ، وأهل المريض يستجيبون ، ويعبرون عن حبهم لمريضهم بالطاعة للشيطان .

كل ذلك من فتن إبليس الذي يضل بها العباد فيفسد عقيدتهم ، ويضيع أموالهم ، ويصدّهم عن ذكر الله ، والصد عن ذكر الله معناه : صد عن ذكر دينه وتعليمه .

(1) البخاري / أحكام / 21 .

فإن أكثر الذين ينسون الله هم الذين يقولون: الله، ذكروا الله بالسنتهم ونسوه علماً وتطبيقاً لشريعته. ورحم الله القائل: «التوبة باللسان هي توبة الكذابين» فالكذاب هو الذي يقول بلسانه: تبت إلى الله، ورجعت إلى الله، وما زال قلبه مصراً على المعاصي والآثام.

41 - الحياة كلها ضرورة

الضرورة في فقه الإسلام استثناء، وهي تقدر بقدرها، من: أكل ميتة حتى يبلغ العمران، ومن طلاق مهدد بالقتل وهو لا يقع، ونحو ذلك.

شهد «عمار بن ياسر» تعذيباً كبيراً: القوة غاشمة، والضرب واقع، والبدن ضعيف، قالوا له: لن نتركك حتى تشتم محمداً وتكفر به، فعل ذلك بلسانه، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾.

وقد ذكر «ابن جرير» أن بني المغيرة أخذوا عماراً وغطّسوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأُنزل الله⁽²⁾... وذكر الآية.

وقد شكّا عمار ذلك إلى النبي - ﷺ - فقال له: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان. فقال النبي - ﷺ -: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ». أي: لا عبرة بموافقة اللسان أهل الكفر، ما دام التعذيب يقيناً وواقعاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾ أي اختار الكفر على

(1) النحل: 106.

(2) (تفسير الطبري) 14 / 187.

(3) النحل: 106.

الإيمان، وامتلاً صدره فرحاً بذلك، فهؤلاء عليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم. والآية بعدها يقول الله - تعالى - فيها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آسَتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁽¹⁾.

ومعنى ذلك: أن الدنيا هي مناط شرح الصدر بالكفر، زينة، وأموال، ورفاهية، وترفيه، وتقنيات علمية حديثة... وغيرها، مما نعيشه الآن، كلمنا عن الكفرة باتت تساوي أو تزيد عن كلمتنا عن الإسلام.

والإسلام يدعو إلى العلم، ويدعو إلى الأخذ بالأسباب، ولكنه لا يدعو إلى الوقوف تفرجاً وفتنة، وانبهاراً وإعجاباً، والحياة التي لا يرجع الناس فيها إلى حكم الله - ﷻ - إنما هي حياة الشياطين، أما المؤمنون فهم الذين يذكرون الله - ﷻ - في كل موضع من مواضع حياتهم.

حين رقى أبو سعيد الخدري الرجل في الحديث المشهور وكانوا على سفر، وأهدي إليهم من الغنم واللبن ما أهدي، قالوا: لا نقربه حتى نسأل رسول الله - ﷺ - فلما أكل منه علموا بحله فأكلوه؛ لماذا؟ لأن هذا المال ليس عن طريق بيع وشراء، ولا عن طريق هبة، بلا عوض، إنه عوض عن قراءة الفاتحة، فهل هذا يجوز؟

إن هذا السؤال من فقه الإسلام، أما أخذه دون معرفة لوجه الحلة فيه، وعن طريق وسوسة الشيطان وتزيينه بأنه ما ضرب أحد منهم أحداً على يده، لم يأخذه غضباً مثلاً ولا غيره، فهنيئاً مريئاً، فذلك واقع التضليل الشيطاني.

إن أحمد بن حنبل - رحمه الله - هجر عمّه وأولاده؛ لأنهم قبلوا هدية السلطان مع اختلاف العلماء فيها⁽²⁾.

(1) النحل: 107.

(2) (فيض القدير) 6 / 310.

ثم يقول بجرأة : هذا هو الله ، وتلك هي حكمته !

أعوذ بالله ، أالله أمرنا بالظلم والسرقة ؟ وهل هذه حكمة الله ، والحكمة معناها : وضع الشيء في موضعه .

ثروات من حرام : أحد التجار كثرت زبائنه فسئل : أنت تبيع بعشرة ، وغيرك يبيع الصنف نفسه بخمسة عشر فقال : أنا فنان ، أنا أبيع بستة عشر . قيل له : كيف ؟ قال أنقص من الميزان ، وأغش قليلاً في السلعة وهذا ليس فناً ، وإنما هو اتباع لكيد الشيطان .

لقد كتب « عبد العزيز بن مروان » إلى ابن عمر : أن ارفع إليّ حوائجك ، فقال ابن عمر : لست بسائلك ولا براد عليك ما رزقني الله منك ، فبعث إليه بألف دينار فقبلها ⁽¹⁾ . وقد شكّا الأحنف إلى عمه وجع ضرسه وكدره ، فقال : لقد ذهبت عني منذ أربعين سنة فما شكوتها لأحد ⁽²⁾ .

إن الصراخ والعيويل ، ورفع الأئين لأدنى ملابسة مأساة ، والأمر يحتاج إلى صبر وعزيمة ويقين بالله - عَزَّوَجَلَّ - ، الذي عليه وحده رزق عباده ، وعليه وحده توكلهم واعتمادهم ، ولا يعني ذلك : سوء الأدب مع الناس ، وإنما يعني : التوجه إليه - عَزَّوَجَلَّ - ، والشكوى إليه وحده ، والتطلع إلى ما عنده من حسن الثواب ، وفهم معنى الاحتساب .

لقد طلب أحد الأمراء من عالم عارف أن يعظه ، فقال : مات عمر بن عبد العزيز ، وترك أحد عشر ولداً ، فورث كل منهم درهماً ، ومات هشام بن عبد الملك ، وترك أحد عشر ولداً ورث كل منهم ألف ألف ، وقد رأيت الولد من أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل على ألف فرس في سبيل الله . وقد رأيت أحد ولد هشام يسأل الناس درهماً يأكل به ، لأن الأول تركهم لله ، فحفظهم الله ، والثاني تركهم للدنيا ، فضيعتهم الدنيا .

(1) (فيض القدير) 6 / 27 .

(2) (فيض القدير) 6 / 26 .

وكذا الحرص على الطهارة ، ونظافة البطن من المال الحرام ، إنه ضرورة تبيح للمسلم أن يتعامل بالربا ، وقد أحل الله له البيع . أية ضرورة تبيح للمرأة أن تعاشر رجلاً أجنبياً من أجل أنه يشحن لها الموبايل ؟ ماذا تفعل بهذا الموبايل ؟ وأية مصلحة لها فيه سوى التباهي ، وأنها ليست أقل من جاراتها !

إنّ التوسع في الحياة عن طريق اتباع الباطل طريق الشيطان . ولا يعني ذلك أن في الإسلام ضيقاً ، فقد قال الله - عَزَّوَجَلَّ - : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ ⁽¹⁾ .

فلماذا ينصرف الناس عن سعة الله إلى ضيق الشيطان ، إلا عن طريق كيد الشيطان الذي يصور لهم أن فرج الله بعيد ، وهو - والله - قريب .

روى « أوس بن شراحيل » عن النبي - عَزَّوَجَلَّ - أنه قال : « مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ » وخروجه من الإسلام إما : بالكفر ، بأن يحل الظلم ، وإما بخروجه عن طريقة المسلمين .

وما أكثر الذين يمشون مع الظالمين يعينونهم على الظلم ، وهم يعلمون أنهم ظالمون ، فإن سألتهم : قالوا : ضرورة ، إننا نأكل من طعامهم ، ومن أكل من طعام اليهودي فليحارب بسيفه ، هذه فتوى الشيطان .

وقد تواترت الروايات الصحيحة عن رسول الله - عَزَّوَجَلَّ - أنه قال : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » ، فآية ضرورة تجعل المسلم يتعامل بالغش - يقول أحد الباعة :

- والله ، نحن معذورون ؛ لأن التاجر الكبير يسرق الصغير ، وتاجر الجملة يسرق تاجر التجزئة ، وأنا أسرق الزبون في الميزان ، فماذا نفعل ؟

وقد خانت الدنيا قروناً تتابعوا كما خان أعلى البيت يوماً أسافله

مهما سعى المؤمن واجتهد في تحصيل الدنيا، فإن الآخرة لا تضيع من ضميره وقلبه .
بنى أحد الملوك مدينة عظيمة، أبدع له فيها المبدعون، وصنعوا له فيها ما لا يوجد
في غيرها، وجاء يوم الافتتاح، ودعا إليها الملوك والعظماء... وغيرهم، وأعد لذلك
طعاماً عظيماً، وأخذ يسأل الناس عنها، وهل رأوا بها شيئاً لا يعجبهم؟

فقال ثلاثة من الحضور: وجدنا بها عيبين .

فقال: وما هما؟

قالوا: تخرب، ويموت صاحبها .

فقال: وهل هناك دار تسلم من ذلك؟!

فقالوا: نعم: الدار الآخرة .

فتخلى عنها، وتعبد معهم، وبعد قليل تركهم، فقالوا له: هل رأيت منا ما تكره
قال: لا، ولكنكم عرفتموني فأكرمتوني؛ فأحب أن أعاشر من لا يعرفوني⁽¹⁾.

إن الإنسان إذا فتح لنفسه باب الطمع في الدنيا، طمعت وما شبتت، قيل: إن أجمل
بيت قالته العرب:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

ولله در القائل:

إن الغنى هو الغنى بنفسه ولو أنه عاري المناكب حافي

(1) (فيض القدير) 6 / 45 .

ما كل ما فوق البسيطة كافي فإذا قنعت فبعض شيء كافي

42 - استساعة الظلم

في الجزء السابع، وفي الصفحة الأربعين بعد المائتين يروي «ابن حجر» في (فتح
الباري): أن النبي - ﷺ - «رَأَى مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَوْمًا مَشَافِرُهُمْ كَالْإِبِلِ، يَلْتَقِمُونَ حَجَرًا،
فَيَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى» .

كيف يصل هذا المعنى إلى قلب المؤمن إلا عن طريق اليقين، والتصديق بما جاء به
محمد - ﷺ - الأمر الذي يفزع قلب المسلم، ويسبب وجله .

أي رعب وفزع لا يصيب قلب من أكل أموال اليتامى؟ إلا أن كيد الشيطان زين
لهؤلاء أكل أموال اليتامى .

وما ذلك إلا عن طريق الجشع والظلم والطمع . فلو أن كل مسلم خاف ربه، فكان
لذلك الخوف ثمرة هي جنتان، ومن دونها جنتان .

كيف يستسيغ ذلك من يقرأ قول الله - ﷻ - : «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا»⁽¹⁾ .

43 - التنطع

هلك المتنطعون، والتنطع مأخوذ من: النَّطْعُ⁽²⁾، وهو: ما ظهر في داخل الفم من
الغار الأعلى حيث موقع اللسان من الحنك .

ومن صور التنطع: الانشغال بمخارج الحروف عند التلاوة دون تدبر معاني القرآن
الكریم، قال «الدمياطي» في (الإتحاف): «إن طلب حفظ القرآن العزيز، والاجتهاد في

(1) النساء: 10 .

(2) (لسان العرب) (ن ط ع) .

تحرير النطق بلفظه ، والبحث عن مخارج حروفه وصفاتها ونحو ذلك ، وإن كان مطلوباً حسناً ، لكن فوقه ما هو أهم منه وأولى وأتم ، وهو : فهم معانيه ، والتفكير فيه والعمل بمقتضاه ، والوقوف عند حدوده ، والتأدب بأدابه .. قال الغزالي - رحمه الله - : « أكثر الناس منعوا من فهم القرآن لأسباب وحجب ، سلطها الشيطان على قلوبهم ، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن ، منها : أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، قال : وهذا يتولاه شيطان وكل بالقراء ؛ ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله تعالى ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف . يخيل إليهم أنها لم تخرج من مخارجها فهذا يكون تأمله مقصوراً على ذلك ؛ فأنتى تنكشف له المعاني ؟ »

وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبس ، وتلاوة القرآن حق تلاوته : أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان : تصحيح الحروف ، وحظ العقل : تفسير المعاني ، وحظ القلب : الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار ، فاللسان يرتل ، والعقل ينزجر ، والقلب يتعظ ⁽¹⁾ .

44 - ضياع الحلال من المال

ومن فتاوى الشيطان : المال الحلال لا يضيع ، دعوة منه إلى الإهمال ، وفقه الإسلام يقول : يضيع الحلال إن لم يكن في حرز .

وقد قال يعقوب - عليه السلام - « قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ » ⁽²⁾ . فمن غفل عن شيء كان مضيعاً له ، سواء أكان ذلك حلالاً أم حراماً .

وباب السرقة في الفقه جاء فيه : أن يكون المال في حرزه ، فإن سرق السارق المال وهو في غير حرزه لا تقطع يده ، والأمين من المسلمين من أودعت عنده أمانة ليحفظها

(1) (إتحاف فضلاء البشر) ص : 16 « طه عبد الحميد حفني » سنة 1359 هـ .

(2) يوسف : 13 .

وهو غير ضامن لها إن تلفت دون تقصير منه أو ضاعت ، فإن ثبت أنه لم يحرزها وكان سبباً في ضياعها ضمنها .

وكل أبواب الفقه شاهدة بضرورة المحافظة والرعاية للأموال بشتى طرق الرعاية من الحرز والاستثمار وقد قال تعالى : « وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا » ⁽¹⁾ فلا بد من القيام على الأموال ورعايتها ورزق اليتامى والسفهاء فيها . أي : من ريعها ، لا من رأسها حتى لا تنفذ .

وقد قتل الأمراء حارس النبي - ﷺ - وسرقوا الإبل ، ولو كان عليها أكثر من حارس لما كان ذلك ، وما من شك في أن أمواله - ﷺ - حلال في حلال .

وحين نام الغلام عن الزاملة : (الناقة) التي كان عليها زاد النبي - ﷺ - وزاد أبي بكر رضي الله عنه - هربت بعد أن فكت عقالها ، ولولا « صفوان بن المعطل » ما جاءت .

والشواهد كثيرة على ضرورة رعاية الأموال والأولاد ، لكن الشيطان يوعز إلى أوليائه بزخرف القول ؛ حتى يكسلوا ويزدادوا كسلًا .

وقد رأيت رجلاً تأخر ولده ، فلما هم بالبحث عنه قال له أتباع الشيطان :

- قل يا رب .. لا تقلق ، سوف يعود !

ولم يعد الولد .

ولا أشك في أن هؤلاء سوف يقولون له :

- لا نصيب لك فيه ، لو كان لك فيه نصيب لما غاب إلى الأبد !

إن الدعوة إلى عدم الحركة تحت شعار : (قل يا رب) فإن لم يحصل الساكن خيراً قيل له : ليس لك فيه نصيب ، إنما هي من ثمرات مكائد الشيطان التي أدت بالامة إلى التخلف .

(1) النساء : 5 .

45 - الشحات يعيش

سمعت بأذني ناصحات ، يقلن للمرأة التي لا يعيش لها ولد ، أو ترجو أن يعيش ولدها :

- سميه : شحات ، يعيش . وعليه .. سمى أناس كثيرون بشحات ومشحوت وشحاتة . وهذا من الأعيب الشيطان .

أما فقه المسلمين .. فمبناه على حسن الأسماء ، وقد كان النبي - ﷺ - يغير الأسماء الدميمة . سأل امرأة عن اسمها فقالت :

- عاصية

فقال لها : أنت جميلة ، رواه البخاري في (الأدب المفرد)

وسمى زيد الخيل : زيد الخير .

وسمى حرباً : حسناً وحسيناً .

وعبد العزى : عبد الله ، وهكذا .

والاسم علامة على المسمى ، وبه يعرف ، وينادى ، وإشاعة الجمل من الإسلام .

وإشاعة القبح من الشيطان .

بل روى « ابن منظور » أنه - ﷺ - مر بأرض ، فقبل إنها عثرة أي : مغبرة بها غبار ، فسأها - ﷺ - خَصْرَة ⁽¹⁾ تيمناً وبركة .

46 - تحلية بعد فوات الأوان

مثل المرأة في العمل مع زميلها ، كمثل المدعو إلى طعام في الإسلام . إن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً ، فليدع بالبركة لأصحاب الطعام .

(1) (اللسان) (ع ث ر) .

أي إن كان زميلها غير متزوج ، فليتزوجها إن وجد فيها ما يدعوها إلى نكاحها ، وإن كان عنده ما يكفيه حمد الله ودعا بالبركة أن يهبى الله تعالى لها زوجاً صالحاً . وإن كانت هي متزوجة فهي مثل أمه ، لأن الله - ﷻ - عطف المتزوجات على الأمهات في سورة النساء أي : هي محرمة عليه ، فلا يغازلها ولا يفتنها .

ولكن من فتن الشيطان : رأيانه في تحلية من تزوجت ، يقول لها :

- أنا ما كنت أدري أنك جميلة إلى هذا الحد ؟ هل يحلي الزواج هكذا ؟

ويقول لها زميلها :

- أنا كنت أفكر فيك ، غاية ما هنالك ، أي كنت أنتظر تحسين ظروفي ، وأنت التي تعجلت . أو يفتعل أحاسيس ليس لها وجود ، وكل ذلك فتنة ، والفتنة من عمل الشيطان .

ألم تكن موجودة أمام عينيه كل يوم ؟ فلماذا أصبحت حلوة بعد أن تزوجت ، تحلية بعد فوات الأوان .. من الأعيب الشيطان .

47 - الشهادة لمن عرف بالصدق ، دون علم الشاهد

من فقه الإسلام ألا يشهد أحد على شيء إلا من حضر وعاین ، فلا يجوز لك أن تشهد لإنسان بأنه باع أو اشترى لأنه صادق معروف بالصدق ، فلا يكذب ، ومن آيات ذلك : ادعاء حضور من لم يحضر لإثبات حق مسكين ونحوه ، فذلك من مكر الشيطان .

وقد اشترى النبي - ﷺ - فرساً من أعرابي على أن يعطيه ثمنه إذا رجع إلى المدينة ، فساومه بعض الذين لم يعلموا أن النبي - ﷺ - اشتراه ، فأنكر أن النبي - ﷺ - قد اشتراه منه ، وقال له : هلم شاهداً .

فشهد « خزيمه بن ثابت » ، فقال له النبي - ﷺ -

- كَيْفَ تَشْهَدُ وَلَمْ تَكُنْ حَاضِرًا ؟!

فقال : أشهد بصدقك يا رسول الله .

فجعل النبي - ﷺ - شهادته بشهادة رجلين ، ونهاه أن يعود لمثل ذلك .

قال « الشوكاني » : وقد تمسك بهذا الحديث جماعة من أهل البدع ، فاستحلوا الشهادة لمن كان معروفاً بالصدق على كل شيء ادعاه ، وهو تمسك باطل ؛ لأن النبي - ﷺ - بمنزلة لا يجوز أن يحكم لغيره بمقاربتها ، فضلاً عن مساواتها حتى يصح الإلحاق ⁽¹⁾ .

تقول المرأة لجارتها : اشتكيتني أي : (زوجها) وأنا أشهد أنه ضربك وأذاك وطرديك وأخذ مصاعك ، وزوجي كذلك يشهد ، وعندي من الشهود ألف ، إنه مفترٍ وظالم .

ويترتب على هذا الزعم : تأليه الناس ومساواتهم بالمعصومين من الأنبياء - عليهم السلام - وقد سبق أن ذكرت أن النبي - ﷺ - وهو مَنْ هو ، نهى « خزيمة بن ثابت » عن العود إلى مثل ذلك ، والشهادة لا تجوز إلا عن بينة وعلم وحضور ، إذا كنا مسلمين متبعين لفقه الإسلام ، وغير ذلك من البدع ، إنما هو من تضليل الشيطان الذي يزين الباطل .

48 - العيش برخاء مع العزوبة ، أفضل من العيش بضنك مع الزواج

سألني هذا الرجل سؤالاً عن طريق برنامج : (المسلمون يسألون) من خلال قناة المحور مساء الجمعة 24 / 8 / 2007 .

وقال :

- هل الحياة مع الرخاء أفضل ، أم الحياة مع الضيق ؟

وشرح ذلك بقوله :

- أعني رخاء العزوبة ، أم ضيق الحياة مع الزواج .

وأجبت به ذكره « الزنجشيري » في (الكشاف) من : أنه - رحمه الله - مر برجل كان

يعرفه بضيق العيش ، فوجده على سعة ، فلما سأله قال له :

(1) (نيل الأوطار) 5 / 273 .

- لقد تزوجت .

ومر عليه بعد عام ، فوجده في سعة أوسع ، ورزق أكثر ، فعلم منه أنه ولد له مولود .

فقه الإسلام : دعوة القادر على الزواج إلى الزواج ، وكل له رزق .

وفتنة الشيطان على أن العيش بلا متاعب ولا مسئوليات ، أولى من وجع القلب .

إن فقه المسلمين يقول :

- الزواج مودة ورحمة في ظل سكن ، وهو استقرار نفسي ، وبناء بيت ، وحياة جميلة .

ومن فتاوى الشيطان يقول :

- الزواج وجع قلب ومسئولية - قال لي أحد الناس (غفر الله لي) وله وكان معروفاً بالبخل :

- إنني لو تزوجت امرأة ووجدتها تأكل من طعامي ، لوقعت من طولي ميتاً .

أعوذ بالله - والحمد لله على نعمة ، لطالما تنعمنا بها ولم نذكرها ، وهي نعمة : سباحة النفس ، بأن يأكل من طعامنا كل من أراد دون أن نقع ميتين .

ونسأل الله أن يتقبل منا ذلك . وأن يجعل النية حب الثواب .

ثم نقول بعد ذلك كلمتين :

الأولى : وماذا يفعل الراغب عن الزواج ؛ رغبة في حياة موسرة بلا زوجة تشاركه في شهوة فرجه ، أيزني أم ينكح يده ؟ وهل تغني سعة العيش الموهومة من عذاب النار ؟!

والثانية : على المسلمين أن يجتهدوا في إبراز حسنات الزواج ، حتى يرغب فيه الناس ، وينتصر حزب الله على حزب الشيطان ، وذلك :

1 - بتيسيره .

2 - وبنعمة الحياة في ظلاله .

3 - وبكثرة الدعوة إليه .

4 - وبالغفة التي تسد كل طريق نحو الفاحشة .

فإن من لم يجد في الفساد طريقاً ، سلك سبيل المصلحين .

إن بعض البلاد التي تشترط وجود محرم مع المعلمة والطبيبة المعارة إليها ، دفعت بكثيرات إلى الزواج ، والتي لم ينجح أخوها في رفقتها ، كذلك تزوجت وأثمر زواجها خيراً .

49 - وغابت قصة الدرع

عرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - درعه حين رآها مع رجل غير مسلم ، فقال وهو أمير المؤمنين : درعي درعي ، ولم يكن ليأخذها منه عنوة ، وإنما سبيله إلى ذلك سبيل المؤمنين المتنازعين ، هيا إلى القضاء .

وبين يدي القاضي وقف أمير المؤمنين ، ووقف خصمه غير المسلم ، فقال علي :

- هذه درعي .

فسأله القاضي :

- هل لديك بينة يا أمير المؤمنين ؟

فماذا قال علي ؟

قال : صدقت ، ليس عندي بينة .

فقال القاضي :

- إذن ، ههنا له .

وانفض المجلس في هدوء ، لكن ثورة حدثت في صدر الرجل غير المسلم ، فقال :

- هذا حكم الأنبياء ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . أيها القاضي ،

إن الدرع درع أمير المؤمنين ، أخذتها منه يوم كذا ، حين سقطت منه .

فقال علي - كرم الله وجهه - :

- هي لك هدية بمناسبة إسلامك .

غابت هذه القصة في حياة كثير من الناس ، فلو قال مدير صغير بإحدى المؤسسات لموظف :

- هذا القلم قلّمي ، أو رباط العنق هذا لي .

لقال الموظف : طبعاً ، ها هو ذا ، وقدمه إليه بسرعة البرق . لا قضاء ، ولا بينة ، فالبيئة هي السلطان ، والشاهد هو جرة القلم التي بها يكون الجزاء ، والخوف والرعب سلطان آخر ، والخصم هو الحكم ، وهذا من كيد الشيطان .

50 - قالوا للصلح : فقال الشيطان : جاءك الفرج .

ومن فتاوى الشيطان : الاستخفاف باليمين ، إذا دعي إنسان إلى الحلف بالله - عز وجل - قال له الشيطان : جاءك الفرج ، احلف ، فאלله غفور رحيم ، لكن هؤلاء سوف يفضحونك ، وربما ورثت أهلك العار ما بقى الدهر .

إن الناس لا يرحمون ، لكن الله - عز وجل - هو الرحمن الرحيم .

وحين حكم النبي - ﷺ - على اليهود بأن يحلفوا في قضية مشهورة ، قال الصحابي : كيف يا رسول الله وهم يهود ، لا يعينهم أن يحلفوا ما شئت من عدد بالله وهم كاذبون .

فلن يقل له النبي - ﷺ - : صدقت . إنهم كفروا بآيات الله ، وما أسهل أن يحلفوا بالله كذباً . وإنما قال له : ليس لك عليهم إلا أن يحلفوا أو بينتك .

فالقاعدة : البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر .

وقد روى « مالك » في (الموطأ) أن عيسى - عليه السلام - رأى رجلاً يسرق ، فسأله :

- لم سرقت ؟

فقال : والله الذي خلقتك ، ما سرقت .

فقال عيسى : آمنت بالله ، وكذبت عيني .

إن اسم الله عظيم ، والحلف بالله - وَعَلَى - كبير . وما أكثر الذين يحلفون بالله العلي العظيم ، وهم كاذبون تحت دعوى : أن الله - وَعَلَى - بعباده رحمن رحيم ، لكن الناس لا يرحمون .

في البيع والشراء والأخلاق والمعاملات ، تجد أحياناً غموساً ، تغمس صاحبها في جهنم وساءت مصيراً . والحلف كما جاء في الحديث ينْفُق السلعة أي : يسهل بيعها ، لكنه يمحق بركتها .

51- أنا حالف

ومن فتاوى الشيطان : قول المرء إذا دعى إلى فضيلة من الفضائل :

- لا أستطيع .

فإن قيل له :

- بل تستطيع .

قال :

- أنا حالف .

أما فقه الإسلام ، فقد ثبت عن النبي - ﷺ - أنه إذا أقسم على شيء فرأى غيره أفضل ، كفر عن يمينه ، وأتى الذي هو خير .

رجل خاصم أخاه عاماً كاملاً ، وأقسم ألا يدخل له بيتاً ما دام حياً ، كلما جاء رمضان توسط بعض الذين يريدون إصلاحاً ، وقالوا له :

- إن صلة الأرحام من الإسلام ، فهلاً كنت خيراً من أخيك وبدأت بالسلام ؟

قال : أنا حالف يا جماعة .

فقال بعضهم لبعض :

- انتهى الأمر ، لكم أجركم بنيتكم ، وما دام الرجل قد حلف ، فالأمر لله من قبل ومن بعد ، هيا بنا .

ومنهم من يحلف بالطلاق ، والحلف بغير الله تعالى منهى عنه ، فإذا قيل له : هيا إلى الفضائل ، قال :

- وأخرب بيتي ؟

فيقال له :

- لا ، كله إلا خراب البيت ، يا أخي لم تسرعت بالحلف ، هيا بنا هيا .

هذا كله من فتن الشيطان .

52- اللعنة على النفس والولد من ضلال الشيطان

نهانا رسول الله - ﷺ - عن الدعاء على النفس والولد والدابة ، وقال : « لَا يَمْشِي فِي رَكْبِنَا مَلْعُونٌ ، (لمن لعن دابته) ؛ لِأَنَّ دَعْوَتَهُ قَدْ أُجِيبَتْ » .

وعن « أبي عبيدة » عن عبد الله قال : « إذا رأيتم أحاكم قد أصابه جزاء فلا تلعنوه ، ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا : اللهم ارحمه ، اللهم تُبْ عَلَيْهِ . وقد ثبت أن النبي - ﷺ - قال فيمن اعترف على نفسه بجريمة الزنا وأقيم عليه الحد : « لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ وُزِّعَتْ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَوُسِعَتْهُمْ » ⁽¹⁾ .

وليس كل من ارتكب ذنباً يكره الله ورسوله ، ويستحق اللعنة ؛ لأن كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، والذي يتوب إنما يتوب إلى الله - ﷻ - وهو سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده ، ويغفر الذنوب .

(1) داود / حدود / 8 .

والذين يعينون على مرتكب الذنب الشيطان باللعنة ، إنما يتبعون فتاوى الشيطان ؛ إذ ما معنى لكونهم يعينونه بها ، إلا إذا كانوا أولياءه .

إن فقه المسلمين ، يقوم على صب الدعاء بالرحمة .

وفتنة الشيطان تقوم على صب الدعاء باللعنة .

الأمر الذي يسعد الشيطان بأن له شريكاً فيها ، أي : في اللعنة . والملعون متى شعر بالطرْد استحوذ عليه الشيطان ، وقال : هلم إليّ ، فأنا وأنت من وادٍ واحد ، ودعك من هؤلاء الذين يطردونك .

وعلى أي شيء يطردونك ؟

هل يطردونك من أجل ذنب هم أبرياء منه ؟ أم أنهم جميعاً يفعلونه في الخفاء ، ويدعون أنهم على طهارة . إنهم مجرمون ، ولكنهم يرتدون ثوب الطهر ، فدعك منهم ، واتبعني ، وما أسهل أن يتبعه عندئذ ؛ لأن بابه هو الباب المفتوح ، أما أبواب إخوانه فمغلقة دونه .

وما أكثر الذين يدعون على أنفسهم وأولادهم ووظائفهم وأموالهم باللعنة والقطع ، وكل ذلك من مكائد الشيطان .

53 - المجنون والمجاهرة بالمعاصي

وفي الحديث الصحيح يقول النبي - ﷺ - : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَاقٍ إِلَّا الْمَجَاهِرُونَ » ⁽¹⁾ .

وعنه - ﷺ - : « أَنْ مِنَ الْمُجَانَةِ : أَنْ يَرْتَكِبَ الْعَبْدُ الذَّنْبَ فَيَسْتُرَهُ اللَّهُ ، فَيُضَيِّحُ وَيُخَدِّثُ بِهِ ، فَيَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ وَجَلَّ » .

إن المجاهرة بالذنوب من فتن الشيطان الذي يوعز لأوليائه أنهم أهل وضوح ، يفعلون ما يفعلون أمام الدنيا ، أو كما يقولون : « على عينك يا تاجر » .

(1) البخاري / أدب / 60 .

أرأيت كيف يزين الشيطان للإنسان سوء عمله ، فيراه حسناً !

إن فقه الإسلام يقوم على الستر ، وتأنيب الضمير عند حدوث ما يشين .

وقد سمى النبي - ﷺ - المعاصي بالقاذورات . فتأمل كيف يجهر الإنسان بالقاذورات ، ويزعم أن ذلك من الحسن بمكان ، وأنه خير من الذي يفعلها في الظلام ، ويرتكبها بعيداً عن أعين الناس ، ويبدو أمامهم وكأنه ملاك طاهر .

54 - العاصي نبيل ، والمطيع خائب

وترى بعض الناس يصف الشاب الملتزم والفتاة الملتزمة بالحيية ، فهذا الشاب لا علاقة نسائية له ، وتلك الفتاة لم تستطع أن توقع شاباً في شباكها ، فهي خائبة ، ليست مثل فلانة التي تسبي النواظر ، وتأسر القلوب ، وتجنن الشباب ، وتوقع صاحب الشارب الفارس فريسة . إنها تعرف كيف تصطاد .

لكن هذه فتاة خائبة ، ملتزمة خائبة !

هل هذا إلا من إملاء إبليس . ومن السير على دربه ؟ إن الشاب الذي لم يلوث شرفه وشخصه بجريمة العلاقة غير المشروعة شاب محترم ، من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ، لكن فتاوى الشيطان لا تعرف ظل الرحمن ، وإنما تعرف المستنقعات ، والظل غير الظليل غير المغني من اللهب .

ومن عجب : أننا نسمع قومنا يقولون لمثل هذا الشاب :

- كيف تتزوج إذن ؟

ويقولون للفتاة المؤدبة بأدب الدين :

- لن تتزوجي أبداً !

وكان الطريق إلى الزواج بات حتماً عن طريق العبث واللعب ، ومجاراة الهوى ،

والتجارب العاطفية !

55 - الذكر باللسان فقط

الذكر باللسان ، والاستغفار باللسان ، إنها هما من صفات المنافقين ، والمنافقون أولياء الشياطين ، قال العلماء : إن التوبة باللسان توبة الكذابين ، والله عز وجل يقول في سورة ق الآية (37) : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (1) .

وفي كثير من آيات الذكر ، والتوسل إلى الله عز وجل ، يقول العلماء ذلك إذا قيلت بحضور قلب ، واستحضار معنى ، وخشوع وتدبر . أما الذين لا يجاوز القرآن حناجرهم ، وتسمعونهم يقولون قولاً ندياً ، والقلوب في صدورهم منكراً ، فهؤلاء ما قالوا وما ذكروا .

ولله در القائل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وآية معرفة الذكر الذي هو على فقه المسلمين : أن ترى أثره في معاملة الذاكر ربه خلق الله ، فهو رقيق الطبع والحاشية ، يآلف ويؤلف ، ويعفو ، ويصفح ، وهو سمح في جميع معاملاته ؛ لأنه لين بذكر الله عز وجل ، ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة الزمر الآية (23) : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

56 - نسيان ذكر الله تعالى عند الأمور ذات البال

يقول النبي صلى الله عليه وسلم - : « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِإِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَقْطَعُ . » (أي : أستر وأجزم ، لا خير فيه ولا بركة) .

(1) ق : 37 .

وفي الصحيح أن « سلمة بن أبي سلمة » ، وأمّه أم المؤمنين : « أم سلمة » زوج النبي صلى الله عليه وسلم - دخل على النبي صلى الله عليه وسلم - وهو يأكل ، فقال له :

« أَيُّهَا الْغُلَامُ ، أَقْبِلْ ، وَسَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ بِمَا يَلِيكَ » (1) .

ومن فتنة الشيطان : أن يقبل الإنسان على أموره المهمة ، ناسياً ذكر الله عز وجل .

والشيطان يُنسي المسلم ذلك الذكر بافتعال أمور ، منها :

أن يتأخر الذي يقدم الطعام ، فينشغل الراغبون في الطعام بذلك التأخر ، فإذا بهم يصيحون في وجهه ويلومونه ، ويأكلون وهم غير ذاكرين الله عز وجل .

ومن ذلك : أن يُنسى معد الطعام شيئاً ثانوياً ، فإذا بالآكل ينهره كذلك ، ويقول : أين كذا ؟ ألم أقل لك ؟ ألم أنبهك أكثر من مرة ! ألم تعلم أني لا أكل هذا الصنف من الطعام ، إلا إذا كان معه ذلك الشيء ، ثم يلتهم الطعام ، ولا يذكر اسم الله تعالى .

ومنها : أن ينشغل بعض أفراد الأسرة بشيء ، فينادي بعضهم بعضاً ، ويصيح بعضهم في وجه بعض .

- هيا .. هيا .. هيا ! هكذا أنتم .

ويتجمع الناس ويجلسون ويأكلون ، دون أن يذكروا اسم الله تعالى .

وهكذا يُنسى الشيطان الناس ذكر الله بضيق الصدر ، والانشغال بأمور تافهة ، حتى يتسنى له أن يشاركهم طعامهم ، كما جاء في الصحيح ، فقد نسي رجل أن يذكر اسم الله في أول طعامه ، فلما تذكر ذكر اسم الله حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم - « مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى ذَكَرَ اللَّهَ ، فَلَمَّا ذَكَرَهُ قَاءَ الشَّيْطَانُ مَا فِي بَطْنِهِ » (2) .

وهل يكون هذا التصوير إلا بياناً لاستراحة الشيطان ، ووجوده مع الناسي ذكر ربه ، وهل يستريح الشيطان إلا مع مَنْ يتبع منهجه ؟!

(1) مسلم / أشربة / 108 .

(2) داود / أطعمة / 15 .

المحتويات

الصفحة

الموضوع

5	تقديم
	الفصل الأول : بين الفقه الإسلامي والضلال الشيطاني
13	زوج تارك للصلاة
16	يطارده إحساس بالرياء
20	الصوفية والشيطان
20	يصلي بروحه في الكعبة
22	ينسب المصيبة إلى الله
23	الخلل في منهج الدعوة
24	الحج وفتن الشيطان
26	المجادلة بالباطل
27	عند من سنفطر أول يوم في رمضان ؟
27	أم الكبائر أول يوم
29	واتقوا الله ويعلمكم الله
31	يوم ندعو كل أناس بإمامهم
32	فتاوى الشيطان لآدم وزوجه
34	التلاعب باللغة
35	استحلال ما حرم الله
36	تخويف المؤمن من الجهاد
37	رفع الدعوى ضد مسئول
38	الإعراض عن الكتاب والسنة
39	التجاوز في القصاص
39	تغيير خلق الله

الموضوع	الصفحة
تضليل الشيطان عن طريق الخمر والميسر	41
الفصل الثاني : صورة من فتاوى الشيطان في الحياة	
1 - فتوى التزين	43
2 - حرارة الجو بسبب الذنوب	45
3 - كشف عورات النساء والرجال	46
4 - الدعوة إلى إهمال التعلم	48
5 - التزام بحمل الذنب	51
6 - الله خير الشاهدين	53
7 - الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر	55
8 - لزوم ما لا يلزم	58
9 - باب التوكل على الله	59
10 - ادعاء الكرامة بين الزوجين	62
11 - قيام الليل وسائر النوافل	64
12 - الاستخفاف بشعائر الله	65
13 - مراقبة في عرس المسلمين	68
14 - صرف المهمة إلى الجارحة	69
15 - صرف المهمة إلى العبادة المجانية	72
16 - ظلم في المعاملة ، وصدقة قريبي	73
17 - فتوى ، وتصحيح	75
18 - حكم المرتد	76
19 - الاستشفاء بالقرآن الكريم	77
20 - تفسير اليقظة والمنام	79
21 - افتح بيننا وبين قومنا بالحق	82
22 - قراءة القرآن بالألحان	85
23 - مكبرات الصوت	87

الموضوع	الصفحة
24 - أنا لا أريد الدنيا	88
25 - من تفكر تعكر	90
26 - هؤلاء لم ينزلوا من السماء	91
27 - نجوم بلا ضياء	92
28 - الاستدراج عن طريق الخير	92
29 - خروج المعتدة من بيتها	97
30 - ثقافة القرب	99
31 - الغيب لله	102
32 - ليس فيها إجماع	103
33 - الانشغال بعلامات القبول	106
34 - فتنة الاستخارة	107
35 - فتنة الكافرين	109
36 - الالتزام بتغطية الرأس	113
37 - طلب الحق بين الحق والهوى	115
38 - شرط السماح	116
39 - غياب العلم بالعلة	117
40 - مفهوم الظن	119
41 - الحياة كلها ضرورة	120
42 - استساغة الظلم	125
43 - التنطع	125
44 - ضياع الحلال من المال	126
45 - الشحات يعيش	128
46 - تحلية بعد فوات الألوان	128
47 - الشهادة لمن عرف بالصدق ، دون علم الشاهد	129

- 48 - العيش برخاء مع العزوبة ، أفضل من العيش بضنك مع الزواج .. 130
- 49 - وغابت قصة الدرع 132
- 50 - قالوا للص : احلف ، فقال الشيطان : جاءك الفرج 133
- 51 - أنا حالف 134
- 52 - اللعنة على النفس والولد 135
- 53 - المجنون والمجاهرة بالمعاصي 136
- 54 - العاصي نبيل والمطيع خائب 137
- 55 - الذكر باللسان فقط 138
- 56 - نسيان ذكر الله تعالى عند الأمور ذات البال 138

* * *